الرسالة المحمدية في المؤلفات الغربية

(الحلقة الثانية)

أ. د. محمود حمدى زقزوق
الأستاذ بجامعتي الأزهر وقطر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

٤١٩

تمهيـــد :

نســتأنـف في هـذه الحلقـة بإذن الله ما بدأنــاه في الحلقــة السـابقــة من عــرض لبعـض التصـورات الغربيـة عن الإســلام في المـؤلفــات الغربيــة على أســاس من كتـاب جوسـتاف بفانمـوللر Gustar Pfannmuellev «موجـز في أدبيـات الإسـلام» Handbuch der Islamliteratur الذي نشـر في برلـين عـام ١٩٢٣ وأعيـد طبعـه عـام ١٩٧٤ .

وقد اشتملت الحلقة السابقة على الحديث عن النقاط التالية :

- التناول العام للتعاليم المحمدية .
- العقائــد الأخرويـة .
- التصور الإسلامي للألوهية وقضية الوحي .
- القرآن ونظرة الغرب إليه وتطور هذه النظرة .
- الترجمات الكاملة للقرآن الكريم في اللاتينية والفرنسية والإنجليزية .

أما الجزء الذي يطالعه القاريء في الصفحات التالية فيتناول ما يأتي :

- الترجمات الألمانية الكاملة للقرآن الكريم .
- الترجمات الجزئية للقرآن الكريم .
- المؤلفات الغربية التي تعد بمثابة مداخل إلى القرآن الكريم وتاريخه .
- تفسير القرآن الكريم .
- الحديث النبوي :
- ببليوجرافيا الحديث .
- مجموعات الكتب الحديثية .
- بحوث حول الحديث .

ونود أن نذكر القارىء الكريم بأننا - كما عودناه في الحلقات السابقة التي نشرت في هذه المجلة - لا نكتفي بمجرد الترجمة لما ورد في كتاب بفانموللر المشار إليه وإنما يقوم بالتعليق على آراء المؤلفين الغربيين حول الإسلام كلما اقتضت الضرورة ذلك، ونعرّف بأهم الكتاب والمستشرقين الذين يرد لهم ذكر في كلام بفانمـوللـر . وفضـلاً عن ذلك عمدنا إلى تقسيم الموضوع إلى فقرات ووضعنا لها عناوين جانبية حتى يتيسر للقـارىء

الإلمام في سهولة ويسر بأطراف الموضوع. ومن بين الأمور التى نهدف إليها من وراء ما أخذناه على عاتقنا منذ سنوات من تعريف القارىء المسلم بالتصورات الغربية عن الإسلام من واقع مؤلفات الغربيين باللغات الأوربية المختلفة(١) - تقديم خدمة علمية للباحثين المسلمين تكون بمثابة مدخل إلى المؤلفات الغربية عن الإسلام، حتى ينهض القادرون منهم لتحمل مسئوليتهم العلمية نحو دينهم، فيتوفر فريق منهم على دراسة هذه المؤلفات وغيرها من مؤلفات مماثلة صدرت بعد ذلك دراسة متعمقة تمهيداً لإخراج دراسات علمية إسلامية جادة باللغات الأجنبية في شتى القضايا التي يثيرها الكتاب الغربيون حول الإسلام، ليس فقط بهدف الرد على ما يثار ضد الإسلام من مزاعم ومفتريات، وإنما أيضاً - وفي المقام الأول - بهدف بناء نظرة علمية إسلامية في قضايا الدين والحياة والمجتمع على أسس راسخة لا يملك العقل العلمي المعاصر إزاءها إلا التسليم بصوابها. وبذلك نزيل الشوائب التي علقت في أذهان الغربيين - وربما في أذهان الكثيرين من المسلمين - فحجبت عنهم الرؤية الصحيحة للإسلام.

وهذا العمل يجب أن يحظى من أبناء الإسلام بالأولوية التي يستحقها، وذلك حتى لايظل الإسلام هكذا - كما نراه اليوم - مظلوماً من خصومه وأتباعه على السواء : مظلوماً من خصومه الذين اتخذوه مجالاً للسخرية والاستهزاء، ومظلوماً من أتباعه الذين قصرت هممهم عن تحمل أعباء الجهاد العلمي الذي لايقل أهمية عن الجهاد بالنفس والمال.

والله من وراء القصد وبه نستعين.

ترجمة وتعليقات

الترجمات الألمانية الكاملة للقرآن الكريم :

١ - شفا يجر :

لقد كانت أول ترجمة ألمانية للقرآن من عمل رجل من رجال الدين بدمينة نورنبرج هو القس سالمون شفايجر S. Schweigger وكان قد اطلع في القسطنطينية عن طريق

(١) انظر كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ٤ - مكتبة وهبة ١٩٨٧.

المصادفة على الترجمة الإيطالية التي قام بها أندريه أرّيفابين Andrea Arrivabene عام ١٥٤٧ (ص ٢١١)(٢) . وعلى أساس من هذه الترجمة الإيطالية التي لم تكن ترجمة دقيقة بحال من الأحوال، لأنها لم تكن معتمدة على النص العربي، بل كانت معتمدة على الترجمة اللاتينية الأولى التي تمت في القرن الثاني عشر(٣) ، وهي ترجمة كانت قاصرة قصوراً بالغاً (ص ٢١٣) - على أساس من هذه الترجمة الإيطالية المشار إليها قام شفايجر عام ١٦١٦ بإنجاز ترجمته الألمانية للقرآن، وهي ترجمة ثقيلة على الفهم(٤). وقد قدم لها بفصل جدلي للغاية يتسم بالنزعة الهجومية تناول فيه بصفة خاصة حياة محمد وتعاليمه .

٢ - لانجه :

وبعد ذلك باثنين وسبعين عاما قام أحد طلاب الدراسات العليا في الطب وهو يوهان لانجه Lange والذي اشتغل كثيراً بالترجمات من اللغات الأجنبية (. . . .) - قام بإنجاز ترجمة ألمانية للقرآن دون أن يكون له علم بترجمة سلفه، ولكن ترجمته بدورها لم تعتمد على النص العربي، وإنما اعتمدت على الترجمة الفرنسية التي قام بها دو رير(٥) وكانت هذه الترجمة قد أتت إلى ألمانيا عبر هولندا .

٣، ٤ - نيريتر وأرنولد :

وهناك ترجمة ألمانية للقرآن أعدها نيريتر Nerreter عام ١٧٠٣ وترجمة أخرى أعدها تيودور أرنولد Th. Arnold عام ١٧٤٦ ، ولكن هاتين الترجمتين تعتمدان بدورهما على ترجمات أجنبية . فالترجمة الأولى تعتمد على الترجمة اللاتينية لماراتشي، والثانية تعتمد على الترجمة الإنجليزية لجورج سيل(٦) .

---

(٢) تشير الأرقام الموضوعة بين قوسين هنا وفي مواضع أخرى من هذه الفصول إلى إحالة المؤلف إلى أرقام الصفحات التي ورد فيها ذكر الموضوعات المشار رليها في كتابه .

(٣) انظر ص ٧٩ من العدد الرابع من هذه المجلة حيث تحدثنا عن هذه الترجمة اللاتيية الأولى للقرآن .

(٤) أعيد نشر هذه الترجمة عام ١٦٢٣ في نورنبرج بألمانيا . وعنوان الترجمة جاء على النحو التالي : قرآن محمد وهو قرآن الأتراك - ترجم أول مرة من العربية إلى الإيطالية (كذا) وقد ترجمه الآن رلى اللغة الألمانية السيد سالمون شفايجر - نورنبرج ١٦١٦ .

(٥) انظر الحلقة السابقة المنشورة في العدد الرابع من هذه المجلة ص ٨٢ ومابعدها .

(٦) انظر المرجع السابق ص ٨٠ ومابعدها، وكذلك ص ٨٥ ومابعدها .

٥ - ميجرلين :

وفي بداية السبعينات من القرن الثامن عشر قام اثنان من العلماء الألمان في وقت واحد تقريباً بإنجاز ترجمتين للقرآن اعتماداً على الأصل العربي. أما الترجمة الأولى فقد أنجزها دافيد فريدريش ميجرلين(٧) Megerlin وهو أستاذ من مدينة فرانكفورت(٨) وقد استفاد من غير شك من ترجمات كل من دو رير وماراتشي وسافاري. ولكنه كان على وجه العموم مستقلاً في ترجمته من النص الأصلي. ولكن مجلة علماء فرانكفورت وصفت عمله هذا بأنه «إنتاج بائس elende Produktion». ومع ذلك فإن (الأديب الألماني العظيم) جوته قد استخدم هذه الترجمة بالذات كثيراً جداً.

٦ - بويـــزن :

وبعد ذلك بعام (١٧٧٣) ظهرت الترجمة الثانية للقرآن التي أنجزها فريدريش إبرهارد بويزن(٩) Boysen (. .) ثم صدرت بعد ذلك بعامين الطبعة الثانية المصححة من هذه الترجمة. وتعد ترجمة بويزن أفضل من ترجمة ميجرلين كثيراً جداً. ولكن على الرغم من أن بويزن قد اهتم اهتماماً كبيراً بالجمال الأدبي للقرآن فإنه لم تظهر في ترجمته هذه - التي كانت تميل إلى الحرفية ميلاً كثيراً - الحيوية الباهرة للأصل العربي.

٧ - فـــال :

وبدلاً من إصدار طبعة ثالثة من ترجمة بويزن للقرآن صدرت عام ١٨٢٨ ترجمة أخرى لصامويل فريدريش جونتر فال Wahl. فقد قام فال بمراجعة ترجمة بويزيه، وذلك بمقارنتها من جديد بالنص العربي من بدايته إلى نهايته بهدف تصحيح الترجمة. ونتيجة لذلك تغيرت هذه الترجمة تغيراً كبيراً في كل السور، الأمر الذي يعنى أنه يجب

---

(٧) فارن : أدولف فولفل : ألمانيا والإسلام وتركيا - في مجلة أويفوريون Euphorion رقم ٢٢ لعام ١٩١٥ ص ٢٢٥-٢٢٩. (هامش للمؤلف).

(٨) ظهرت هذه الترجمة عام ١٧٧٢، وقد استخدمها أديب ألمانيا الشهير جوته، ومنها بدأ إعجابه واهتمامه بالإسلام. وقد جاء عنوانها على النحو التالي : «الكتاب المقدس التركي أو القرآن، الترجمة الألمانية الأولى عن الأصل العربي نفسه، مع بيان ضرورتها وفائدتها، من عمل م. دافيد فريدريش ميجرلين - فرانكفور الواقعة على نهر الماين».

(٩) جاء عنوان هذه الترجمة على النحو التالي : «القرآن أو تشريع المسلمين لمحمد ابن عبد الله، بالإضافة إلى بعض الصلوات القرآنية الاحتفالية - ترجمة عن العربية مباشرة وعلق عليه وفهرسه ونشره فريدريش إبرهارد بويزن بناء على إلحاح (من المهتمين) - مدينة هاله ١٧٧٣» وتقع هذه الترجمة في ٦٨٠ صفحة، وقد أعيد طبعها مرة أخرى بعد تصحيحها عام ١٧٧٥.

أن ينظر إليها على أنها ترجمة جديدة تماماً (وليست مجرد مراجعة لترجمة بويـزن). وقـد قدم فال لهذه الترجمة بمقدمة مسهبة تحدث فيها عن العرب وعن حياة محمد(١٠).

٨ - أولمـــان :

وقد تقادمت ترجمة كل من بويزن وفال تماما (أي لم يعد لهما اليوم قيمة علميـة ذات بال). وكذلك لم تعـد هنـاك قيمـة كبيرة لترجمة أولمان(١١) Ullmann التى كانت قد انتشرت انتشاراً بعيداً. وقد وصفها نولدكـه بأنها أقـرب مـاتكـون إلى كـونها «عمـلاً مدرسياً يرثى له».

٩ - جريجـول :

أما ترجمة جيريجول(١٢) Grigull فإنها تعد مراجعة وتهذيبـاً لترجمة أولمان مع الاعتماد اعتماداً كبيراً على ترجمة سيل (الإنجليزية). ولا تعـد تـرجمة جـريجول تـرجمة بـالمعنى الـدقيق، وإنما تـريـد أن تعبر بصفـة خـاصـة عن الأسلـوب الشرقي المتميـز أو غير المألوف.

١٠ - هيننـج :

أما ترجمة هيننج(١٣) Henning فإنها ترجمة سهلة القراءة وقريبة الفهم إلى الأذهـان. ولكن هيننج - كما هو الحال أيضاً بالنسبة لجريجول - لم يتعمق في سر شخصية محمد. وعلى كل حال فإن هاتين الترجمتين تعدان كافيتين لغير المتخصصين(١٤).

---

(١٠) جاء عنوان هذه الترجمة بالألمانية على النحو التالي : «القرآن أو تشريع المسلمين لمحمد بن عبد الله. ترجمة جـديـدة من الأصل العربي على أساس الترجمة السابقة لبويزن مع هوامش توضيحية ومقدمة تاريخية وفهـرس كـامل من عمل صمويل فريدريش جونتر فال - هاله ١٨٢٨».

(١١) نشرت هذه الترجمة عام ١٨٤٠ ثم أعيد طبعها مرات عديدة بعد ذلك. وكان عنوانها : «القرآن - ترجمة جـديـدة ودقيقة من العربية مع هوامش توضيحية، من عمل ل. أولمان».

(١٢) نشرت هذه الترجمة في هاله بألمانيا عام ١٩٠١. وقد جاء في العنوان أنها ترجمة جـديـدة من العـربيـة وأنها أعـدت لنشرها في سلسلة «المكتبة الأدبية الشاملة».

(١٣) نشرت هذه الترجمة عام ١٩٠١ في ليبتزيج في السلسلـة الشهيرة ركـلام Reclam، وقد أعيد طبعها مرات عديدة بعد ذلك وآخر طبعاتها ظهرت منذ بضع سنوات. وعلى الرغم من ظهور العديـد من الترجمات الجديـدة للقـرآن الكريم في اللغة الألمانية فإن ترجمة هيننج لاتزال حتى اليوم من الترجمات الواسعة الانتشار في ألمانيا.

(١٤) بالإضافة إلى الترجمات الألمانية الكاملة المشار إليها للقرآن الكريم توجد هناك الآن ترجمات ألمانية أخرى من بينهـا مايأتي :

الترجمات الجزئية في اللغة الألمانية :

١ - روكـــرت :

وبالإضافة إلى الترجمات الكاملة للقرآن في اللغة الألمانية توجد هناك أيضاً سلسلة من الترجمات لمختارات من القرآن. ونشير هنا في المقام الأول إلى مختارات فريدريش روكرت (١٥) Rueckert التى ترجع في نشأتها إلى الفترة التي تمتد من عام ١٨٢٤ إلى عام ١٨٤٢ . وقد قام أوجست موللر A. Mueller بنشرها عام ١٨٨٨ .

= (أ) ترجمة المستشرق الألماني الشهير رودي بارت Rudi Paret (توفي منذ بضع سنوات) وعنوانها : Der Koran Uebersetzung وقد ظهرت الطبعة الثالثة من هذه الترجمة في اشتوتجارت بألمانيا عام ١٩٨٣، وتقع في حوالي ٥٢١ صفحة. وتعد هذه الترجم اليوم أوسع الترجمات انتشاراً في ألمانيا وفي البلاد الناطقة بالألمانية.

(ب) ترجمة قامت بإنجازها الجماعة الأحمدية في ألمانيا مصحوبة بالنص العربي. وقد ظهرت آخر طبعاتها عام ١٩٨٥ وعنوانها : القرآن المقدس : Der Heilige Qur'an. والجدير بالذكر أن هذه الجماعة تعتبر ميرزا غلام أحمد القادياني نبياً مرسلاً بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ولها نشاط ملحوظ في أوربا وأمريكا.

(جـ) ترجمة قام بإنجازها مولانا صدر الدين وظهرت في برلين عام ١٩٣٩ وقد جاء عنوانها على النحو التالي :
Der Koran. Arabisch-Deutsch. Uebersetzung von Maulana Sadr-ud-Din
وقد جاءت هذه الترجمة مصحوبة أيضاً بالنص العربي، ولكنها لا تحظى اليوم بالانتشار.

(د) ترجمة قام بإنجازها الأستاذ عادل خوري - وهو عالم لاهوتي، لبناني الأصل، يعمل أستاذاً بكلية اللاهوت بجامعة مونستر بألمانيا - بالاشتراك مع السيد/ عبد الله وعنوان الترجمة جاء على النحو التالي :
Der Koran. Uebersetzung von khoury/ Abdullah, Guetersloh 1987.

أما في الإنجليزية فإن الترجمة الإنجليزية الكاملة التي تعد اليوم شبه معتمدة في العالم الإسلامي هي ترجمة عبد الله يوسف علي : The Holy Qur'an وهى ترجمة مصحوبة بالنص العربي. وقد نشرت أول مرة في لاهور عام ١٩٣٤ ثم طبعت بعد ذلك مرات عديدة في بعض البلاد العربية وفي أمريكا.

ولمزيد من المعلومات حول ترجمات القرآن الكريم في شتى لغات العالم نحيل إلى الجهد المشكور الذي قام به الأخ الفاضل الدكتور حسن المعايرجي في هذا الصدد والذي نشر في الدوحة عام ١٩٩٠ تحت العنوان التالي (نحو هيئة عالمية للقرآن الكريم - مدخل وببليوجرافيا) :
Towards An International Society For The Holy Qur'an. Introduction and Bibliography by Dr. Hassan A. Ma, ayergi.

وانظر أيضا للدكتور المعايرجي : ترجمات معاني القرآن باللغات الإفريقية - مجلة المسلم المعاصر العدد ٥٠ - مايو ١٩٨٩؛ وكذلك : المحرفون للكلم - الترجمات اللاتينية الأولى للقرآن الكريم وتأثيرها على الترجمات باللغات الأوربية - مجلة المسلم المعاصر العدد ٤٨ - يونيو ١٩٨٧.

(١٥) فريدريش روكرتْ (١٧٨٨ - ١٨٦٦) مستشرق وشاعر ألماني كبير. ترجم الكثير من الأدبين العربي والفارسي نظما إلى الألمانية. كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعتي إرلانجن وبرلين. ومن بين مترجماته الكثيرة ترجمته لمقامات الحريري (في مجلدين) وقد صنع منها تحفة أدبية رائعة في الأدب الألماني. (موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ص ٢٠٠ - ٢٠٢).

وعلى الرغم من أن درايتنا التاريخية بالقرآن قد حققت تقدماً كبيراً منذ ذلك الحين فإن مختارات روكرت قد قدمت لغير المتخصص تصوراً للقرآن أفضل مما قدمته كل الترجمات الألمانية السابقة، فقد كان نقلها للصورة (القرآنية) على وجه الخصوص شيئاً رائعاً، كما أن الانطباع الذي يحصل عليه المرء من مضمون القرآن ومن الشكل بصفة خاصة يكاد أن يكون ملائماً إلى حد بعيد.

٢ - كلامروت :

قام مارتين كلامروت Klamroth بترجمة خمسين سورة من أقدم السور القرآنية ترجمية أمينة وماهرة جداً وإن كانت أيضاً ليست ترجمة حرفية تماماً(١٦) وتتضمن مجموعته عدداً من المقاطع التى لم تتضمنها مختارات روكرت، وقد كان اهتمامه بتقديم ترجمة أدبية أقل من اهتمامه بتقديم ترجمة مفهومة، وأخيرا كان يقصد (من وراء عمله) أن يضع تصوراً كلياً عن طريق الترتيب الزمني بقدر الإمكان، وعن طريق الملاحظات التاريخية التي أضافها في شكل هوامش لكل سورة على حده، إما في البداية أو في وسط الكلام.

ودراسة هذا التصور الكلي تقدم للمؤرخين وعلماء اللاهوت نظرة واضحة عن التطور التكويني لتعاليم محمد. وقد أضاف كلامروت (إلى الترجمة) ملحقاً أراد به أن يخدم الوصول التام إلى ما كان يهدف إليه. ويلخص هذا الملحق على نحو ما المضمون الديني للسور المكية المتأخرة التي لم تؤخذ في الترجمة.

٣ - هامر - بوجشتال :

ومن الترجمات التى تعد ذات أهمية أيضاً تلك الترجمات لبعض مقاطع القرآن والتى يجدها المرء في المؤلفات التى تبحث في تاريخ الأدب العربي بصفة عامة وفي المؤلفات الكبيرة عن حياة محمد بصفة خاصة. فقد قام - على سبيل المثال - جوزيف فون هامر - برجشتال(١٧) Hammer - Purgstall بنشر ترجمة مسجوعة (من صنعه)

---

(١٦) نشرت هذه الترجمة في هامبورج عام ١٨٩٠.

(١٧) هامر - برجشتال (١٧٧٤ - ١٨٥٦) مستشرق نمساوي كبير، كان غزير الإنتاج ولاسيما في تاريخ الشرق وآدابه. وقد بلغت مؤلفاته أكثر من مائة مجلد. ومن أهم مصنفاته : تاريخ الدولة العثمانية (في عشرة مجلدات كبيرة)، وتاريخ الآراب العربية - في سبعة مجلدات.

للسور الأربعين الأخير من القرآن، وذلك في المجلة التى كان يصدرها وهي مجلة «كنوز الشرق» (العدد ٢ - ٤، فيينا ١٨١١-١٨١٤). وضمن كتابه «التاريخ الأدبي للعرب» (مجلد ١ جـ١ ص ٣٩٨-٤٠٦، فيينا ١٨٥٠) ترجمة لخمس وعشرين سورة من السور الأخيرة للقرآن[١٨].

٤ - مختارات أخرى :

وهناك ترجمة للكثير من سور القرآن نجدها لدى موير في كتابه عن حياة محمد (فهرس السور المترجمة - انظر ص ٩٥ ومابعدها لدى شوفان في حديثه عن القران والحديث»[١٩]، وكذلك لدى أشبرنجر بصفة خاصة في كتابه الكبير (عن حياة محمد)، (الفهرس السابق - مجلد ٣ ص ٥٩١-٥٩٩). والسور التي قام اشبرنجر بترجمتها تصل إلى ثلاثة أرباع القرآن تقريباً.

ويقدم لنا هوبرت جريمه في كتابه عن محمد ترجمة لمواضع كثيرة جداً من القرآن (الفهرس السابق - مجلد ٢ ص ١٧٦-١٨٠)[٢٠].

وأما ترجمة هـ. ل. فلايشر[٢١] Fleischer فإنها - للأسف - لم تجد بعد طريقها إلى النشر.

وهناك أيضاً ترجمات ممتازة لبعض المختارات يجدها المرء في المؤلفات المختصة

---

(١٨) الترجمة الحرفية للعبارة المذكورة هي : «ربع المائة الأخير من سور القرآن»، ولعل ذلك يعني السور الخمس والعشرين المكملة للمائة، أي من السورة رقم ٧٦ حتى السورة رقم ١٠٠. وسواء كان ذلك هو المقصود أم أن المقصود هو السور الخمس والعشرين الأخيرة، فإن الأمر يعني على كل حال أنها داخلة ضمن السور الأربعين الأخيرة من القرآن التي سبق أن ترجمها مسجوعة. ولعله أعاد في كتابه الأخير ترجمة السور الخمس والعشرين المقصودة ترجمة عادية غير مسجوعة.

(١٩) وذلك في المجلد العاشر من كتابه : «فهرس المصنفات العربية أو المصنفات المتصلة بالعرب».

(٢٠) راجع حول شوفان واشبرنجر وموير وجريمه كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب - ص ٨٠ ومابعدها، ١٦٠ ومابعدها، ١٦٩ ومابعدها.

(٢١) فلايشر (١٨٠١ - ١٨٨٨) مستشرق ألماني معروف، كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعة درسدن ثم أستاذاً للعربية في جامعة ليبتزيج مدة خمسين عاما. أسس الجمعية الشرقية الألمانيه DMG عام ١٨٤٥ وأصدرت هذه الجمعية مجلة باسمها في العام نفسه ZDMG لاتزال تصدر حتي اليوم. يعد من أهم المؤسسين للدراسات العربية المنظمة في ألمانيا. وله دراسات عديدة. ترجم ألف ليلة وليلة في تسعة مجلدات، وأخرج تفسير البيضاوي وزوال الترح في شرح منظومة ابن فرخ لابن عبد الهادي المقدسي، ونشر منها مصطلح الحديث بترجمة ألمانية. (المستشرقون للعقيقي جـ٢، ط٤ ص٣٦٢).

بتاريخ الأديان لكل من سودر بلوم(٢٢) وبرتوليت Bertholet وإدوارد ليمان Lehmann وغيرهم (ص ٨٠ ومابعدها).

أما عمل بيشوف Bischoff فإنه يتسم بالسطحية(٢٣)، وأفضل منه مختارات هاردر(٢٤) Harder. وهناك مادة ثرية في ترجمة جيدة نجدها في المجلد الأول من مكتبة الشرق الألمانية "Deutsche Orientbuecherei".

ترجمات جزئية في الإنجليزية :

١ - لين :

أما مجموعة المختارات التعليمية Chrestomathien فإنها تقدم أيضاً فهماً عميقاً للقرآن - وهكذا يقدم لين(٢٥) Lane في ترجمة إنجليزية مجموعة من المواضع الهامة في القرآن والتي تمثل - إلى حد ما - دين محمد بطريقة مركزة وبكلمات النبي ذاتها. وقد تم تحديد هذه المختارات حسب موضوعات معينة تنحى فيها جانباً كل الأمور غير المفهومة، وتضم قصص أباء بنى إسرائيل - التي تتسلسل بلا حدود - بعضها إلى بعض مستخرجة منها قصة مترابطة الأجزاء. وهكذا يقدم «لين» انطباعاً جيداً جداً عن القوى الدافعة للقرآن، ولكنه لا يقدم نظرة فاحصة في تطور أفكار محمد، وإنما يقدم ترتيباً زمنياً فحسب.

أما كتاب لين - بول Lane - Poole (حفيد لين) عن «أحاديث النبي محمد وأقواله حول المائدة "Table - Tlak" فإنه يقدم تقريباً المادة ذاتها التى تقدمها المختارات. والفرق الوحيد يتمثل في جعلها هنا تتناسب مع أذواق الجماهير العريضة.

٢ - مويـــر :

وهناك بجانب مختارات لين «مقتطفات من القرآن» لمويـر(٢٦) Muir. وهذه

---

(٢٢) انظر كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ٦٨.

(٢٣) نشرت ترجمة بيشوف في ليبتزيج بألمانيا عام ١٩٠٤ في سلسلة المكتبة الشرقية مجلد ٤.

(٢٤) نشرت مختارات هاردر في ليبتزيج عام ١٩١٥.

(٢٥) من الترجمات الألمانية الجزئية التي بدأت في الظهور في الآونة الأخيرة ترجمة إسلامية تصدرفي أجزاء منفصلة عن دار نشر بافاريا في ميونيخ بألمانيا، وقد وصلت حتى الآن إلى مايقارب نصف القرآن. وتعتمد هذه الترجمة بصفة رئيسية على الترجمة الإنجليزية لعبد الله يوسف علي.

(٢٦) إدوارد وليم لين (١٨٠١ - ١٨٧٦) مستشرق إنجليزي، كان مهتماً بالحضارة المصرية القديمة. قدم إلى مصر عام

المقتطفات ليست شاملة، ولا تشتمل إلا على القليل من الشرح والتوضيح، ولكنها تعطي فقط صورة متحيزة عن تعاليم القرآن، لأنها لا تتحدث إلا عن النقاط التي يمكن مقارنتها بالديانة المسيحية.

٣ - نللينو :

وفي حين أن موير لم يقدم (في مقتطفاته) إلا ترجمة إنجليزية فقط (تكاد تخلو من الشرح والتوضيح) فإن مجموعة المختارات القرآنية الرائعة التى قدمها نللينو(٢٧) Nallino تتضمن هوامش توضيحية تمت فيها مراعاة أحدث البحوث، ومعها فهرس يكشف عن المصطلحات تم إعداده بعناية فائقة.

٤ - رايـــت :

أما كتاب المطالعة العربية الذي أعده ثورنتون Thornton ونيكلسون Nicholson والذي قام رايت Wright بمراجعته ونشره في طبعة جديدة مصحح "Arabic Readign – Book" فإنه يقدم مقتطفات من القرآن مع كشاف للمصطلحات وتحليل نحوي ممتاز.

المعاجم المفهرسة للقرآن الكريم :

١ - في عام ١٨١٢ ظهر في كلكتا معجم مفهرس للقرآن(٢٨)، وقد تم في هذا المعجم

= ١٨٢٥ وأقام بها ثلاث سنوات متزيا بالزي العربي، مصلياً في الجوامع متسمياً باسم منصور أفندي. وقد وجد في حياة المسلمين متعة صرفته عن قدماء المصريين إلى التصنيف في معاصريه، فأتقن العربية، وعاد إلى مصر مرتين وأقام فيها في كل مرة مدة عامين. ومن مؤلفاته : أخلاق وعادات المصريين المعاصرين في مجلدين، وترجم ألف ليلة وليلة، وقام بإعداد معجم عربي إنجليزي في ثمانية أجزاء، وقد نشر حفيده لين - بول الأجزاء الثلاثة الأخيرة من هذا المعجم مع مقدمة وترجمة للمؤلف، وكان الموت قد حال بين لين وبين إصدار هذه الأجزاء الثلاثة. (المستشرقون للعقيقي جـ٢ ط٤ ص٥٤ ومابعدها). وقد نشرت المختارات القرآنية التي ترجمها لين عام ١٨٤٣ في لندن، وأعاد نشرها عام ١٨٧٩ حفيده لين - بول بعد أن راجعها وقدم لها.

(٢٧) السير وليم موير (١٨١٩ - ١٩٠٥) مستشرق اسكتلندي، صدر كتابه عن «حياة محمد» في أربعة أجزاء في لندن من عام١٨٥٨ إلى ١٨٦١. وقد نشرت «مقتطفات من القرآن» لموير في لندن عام ١٨٨٠ وأعيد طبعها عام ١٨٨٢.

(٢٨) كارلو ألفونسو نللينو (١٨٧٢ - ١٩٣٨) مستشرق إيطالي كبير. استدعته الجامعة المصرية عام ١٩٠٩ أستاذاً محاضراً في الفلك، ثم أستاذاً في الأدب العربي وتاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام (١٩٢٧ - ١٩٣١). ومن آثاره : منتخبات من القرآن - ليبتزيج ١٨٩٣، وتكوين القبائل العربية قبل الإسلام، وحياة محمد (نشر عام ١٩٤٩ بعد وفاته). وقد تولت كريمته ماريا جمع كتاباته وقام المعهد الشرقي في روما بنشرها في ستة مجلدات : ١

ترتيب الكلمات المفردة للقرآن ترتيباً أبجدياً كما هو معروف في معاجمنا المفهرسة للكتاب المقدس. وعندالإحالة (إلى الموضع المطلوب) اختار المؤلف تقسيماً للقرآن - غير مألوف لدينا وغير مريح - في ثلاثين جزءاً قسمها بدوره إلى فقرات صغيرة رمز إليها بحروف حسب قيمتها العددية. وهذا الرمز لا وجود له في المخطوطات ولا في النسخ المطبوعة (من القرآن). وفضلاً عن ذلك فإن هذا العمل يكتنفه القصور وعدم الدقة.

٢ - وهنا كان الفضل الكبير لفلوجل Fluegel الذي قام بإصلاح هذا المعجم وحوله إلى مؤلف جديد تماماً، فقد رتب الكلمات المفردة حسب أصولها، وقد جعل المؤلف من طبعته الثانية للقرآن أساساً لعمله، وجعل الإحالة إلى السور والآيات مريحة جداً، وراعى أيضاً أقل الفروق بين الكلمات المفردة(٢٩).

٣ - أما معجم كاظم بك(٣٠) فإنه يختلف عن معجم فلوجل (. . .)، ولكن معجم فلوجل أكثر منه اكتمالا وأسهل في الاستخدام بالنسبة لبحوث لغوية معينة.

٤ - وأما المعجم المفهرس الذي صنّفه م. فيض الله (فيضي) بالعربية فإنه يعطي الكلمة الرئيسية للنص مصحوبة بكلمتين أو ثلاث كلمات تسبقها أو تلحقها على نحو ما صنع بوكستورف Buxtorf في معجمه المفهرس للكتاب المقدس. وهذا النظام أفضل من الناحية العملية من معجم فلوجل، ويؤدي بسرعة إلى الهدف. وعلى الرغم من ذلك فإن معجم فلوجل لايمكن الاستغناء عنه.

٥ - أما بيوم La Beaume فإنه يقدم فهرساً منهجياً لأهم مفاهيم القرآن وصيغه

= - العربية الجنوبية، ٢ - العقيدة الإسلامية، ٣ - تاريخ العرب قبل الإسلام، ٤ - الشرع الإسلامي، ٥ - علم الفلك والتنجيم والجغرافيا، ٦ - الأدب واللغة والفلسفة. وقد استغرق نشر هذه المجلدات الفترة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٨. (المستشرقون للعقيقي جـ١ ص ٤٣٢ ومابعدها).

(٢٩) يعد هذا المعجم أقدم المعاجم المفهرسة المطبوعة للقرآن الكريم. وقد قام بتصنيفه مصطفى بن محمد بعنوان «نجوم الفرقان»، وله مقدمة بالفارسية، وقد أعيد طبعه في مدراس بالهند عام ١٨٧٥ مع ترجمة عربية للمقدمة الفارسية ومعجم للمعاني عربي - هندوستاني. وطبع بعد ذلك عدة مرات.

(٣٠) سبق الحدث عن فلوجل ونشرته العربية للقرآن الكريم ومعجمه المفهرس في الحلقة السابقة (انظر ص ٧٨ من العدد الرابع من هذه المجلة). وقد وضع فلوجل لمعجمه عنواناً عربياً هو «نجوم الفرقان» بالإضافة إلى العنوان اللاتيني.

المعهودة وكلماته[٣١]. ويسبق ذلك مقدمة عن حياة محمد.

٦ - ومن القواميس الخاصة بالقرآن يُعد قاموس فيلميت[٣٢] Willment من القواميس الجيدة جداً وإن كان من الصعب الحصول عليه؛ كما يُعد قاموس بنريس[٣٣] Penrice أيضاً من القواميس القيّمة لما يشتمل عليه من إيضاحات نحوية كثيرة.

٧ - وأما قاموس ديتريصى[٣٤] Dieterici فإنه يعد وسيلة سهلة الاستعمال لإعطاء المعلومات بالنسبة للمبتدئين الذين يريدون أن يقرءوا القرآن، ولكن ملائمته للدراسة الذاتية أقل من ملاءمته للتعليم الأكاديمي.

المداخل إلى القرآن الكريم وتاريخه :

جوستاف فايل :

لقد كان أول مدخل تاريخي نقدي للقرآن من تأليف جوستاف فايل[٣٥] Weil يشكل تكملة طيبة لكتابه عن حياة محمد، ويشتمل القسم الأول (من هذا المدخل) على ترجمة قصيرة لحياة محمد تناول فيها أهم اللحظات في حياته والقسمات الرئيسية لطباعه المحيرة والدوافع الداخلية لسلوكه. أما القسم الثاني فإنه يهتم فقط بالحديث عن القرآن من الجانب الأدبي النقدي. وقد فصل المؤلف القول في تأسيس شكوكه

---

(٣١) عنوان معجم "ميرزا محمد كاظم بك" هو : «مفتاح كنوز القرآن». وكما ورد تحت هذا العنوان فإنه «فهرس كامل للقرآن يحتوى على كل الألفاظ وعبارات النصوص التي ترشد المستشرقين في أبحاثهم عن الدين والتشريع والتاريخ والأدب الموجودة بهذا الكتاب (القرآن) مرتبة بحسب ترتيب حروف الهجاء العربية، ويحتوى على المفاتيح أو الكلمات المرادة في القرآن، مع الاستشهاد بكل المواضع التى استعملت فيها والضرورية في الأبحاث العلمية». وقد طبع هذا المعجم في سان بطرسبرج في مطبعة الأكاديمية الامبراطورية للعلوم عام ١٨٥٩ في ٣٤٣ ورقة. وقد كان كاظم بك أستاذاً في جامعة سان بطرسبرج. (موسوعة المستشرقين ص ٣٠٦).

(٣٢) نشر هذا الفهرس في باريس عام ١٨٧٨.

(٣٣) نشر هذا القاموس في روتردام (هولندا) عام ١٧٨٤.

(٣٤) نشر هذا القاموس في لندن عام ١٨٧٣.

(٣٥) فريدريش ديتريصي (١٨٢١ - ١٩٠٣) مستشرق ألماني غزير الإنتاج، كان أستاذاً في جامعة برلين، عني باللغة العربية وآدابها وبالفلسفة الإسلامية. نشر ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل، وترجم شرح ابن عقيل إلى الألمانية، ونشر ديوان المتنبي ومختارات من رسائل إخوان الصفا، وآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي وترجمها إلى الألمانية، ووضع «معجماً عربياً - ألمانيا للقرآن والحيوان والإنسان». وقد نشر هذا المعجم في ليبتزيج بألمانيا عام ١٨٨١، وأعيد طبعه عام ١٨٨٤.

التى كان قد صرح بها من قبل سواء فيما يتعلق بسلامة القرآن أو أصالته(٣٦) . وقد قام فايل - على وجه الخصوص - بوضع ترتيب مستقل تماماً (لم يعتمد فيه على غيره) لسور القرآن، وكذلك لأجزاء هذه السور. ويرى نوالدكه أن القيمة الأساسية لهذا الكتيب الصغير تكمن في هذا العمل.

ومن الأمور الأساسية بصفة خاصة تمييز المؤلف بين ثلاثة مراحل في العصر المكي. وقد كان مرشده الذي خدمه فيما ذهب إليه من تحديدات زمنية متدرجة تلك العلاقات الواضحة والصريحة بالأحداث التاريخية التي كان زمن حدوثها معروفاً من مصادر أخرى للسير، ويضاف إلى ذلك طابع الوحي الذي تحول بعد الهجرة من مكة تحولاً تاماً، وأخيراً أسلوب الوحي.

وأما القسم الثالث (من الكتيب المذكور) فإنه يتضمن نظرات أو تأملات في ماهية الإسلام وتاريخ أهم عقائده، وعلاقته باليهودية والمسيحية، ومستقبله.

مسابقة الأكاديمية الفرنسية :

وفي عام ١٨٥٧ قامت الأكاديمية الفرنسية للنقوش والآداب بإجراء مسابقة في موضوع «تاريخ نقد النص القرآني (وتشتمل على النقاط التالية) : البحث عن التقسيم الأولي للقرآن، والبحث عن طابع الأجزاء المختلفة التي تكونه، والتحديد - بقدر الإمكان - لفترات حياة محمد التي ترجع إليها هذه الأجزاء، وذلك بالاستعانة بالمؤرخين والمفسرين العرب، وتبعاً لفحص الأجزاء أو القطع ذاتها، وعرض التفاصيل التي تنطوي في ثنايا النص القرآني منذ تلاوة محمد حتى الوضع النهائى الذي أعطاه الشكل الذي نعرفه اليوم، وفحص أكثر المخطوطات قدماً لتحديد طبيعة الفروق التي استمرت حتى اليوم في المخطوطات القديمة».

وقد تقدم إلى هذه المسابقة ثلاثة من العلماء المتخصصين المعدودين بثلاثة بحوث. وقد كان البحث الأول من تأليف ألوز أشبرنجر Sprener، وأما البحث الثاني فقد

---

(٣٦) جوستاف فابل (١٨٠٨ - ١٨٨٩) مستشرق ألماني، كان أستاذاً للغات الشرقية. ترجم كتاب ألف ليلة وليلة إلى الألمانية، ثم توفر على دراسة التاريخ الإسلامي. ومن أهم مؤلفاته : حياة محمد (١٨٤٣)، ومقدمة تاريخية نقدية في القرآن (١٨٤٤)، وتاريخ الخلفاء (في ثلاثة مجلدات)، وتاريخ الخلفاء العباسيين في مصر. (راجع كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ١٥٥).

كان من تأليف ميشيل أماري Amari، وكان البحث الثالث من تأليف تيودور نولدكه Noeldeke الذي كان قد نشر قبل ذلك بعام (١٨٥٦) بحثاً باللغة اللاتينية تناول فيه بالبحث أصل القرآن وتركيب السور القرآنية والقرآن ذاته. ولكن هذا البحث لم يتناول إلا المراحل الأولى لتاريخ القرآن، ويكاد أن يكون هذا البحث قد تم دون الرجوع إلى كل المصادر المخطوطة.

ويتفق العلماء الثلاثة على أن ترتيب أجزاء القرآن يتناقض مع الترتيب الزمني. وهذه حقيقة اكتشفها فابل منذ عام ١٨٤٣، ويفترض هؤلاء العلماء أن هناك آيات قد تم نقلها من أجزاء إلى أجزاء أخرى(٣٧). وقد حاولوا بالإضافة إلى ذلك تحديد زمن أهم المواضع في القرآن بناء على الإشارات إلى أحداث مؤكدة في حياة النبي أو بناء على أسلوب الوحي(٣٨).

نولدكـــه :

وقد قام نولدكه(٣٩) بتنقيح البحث الذي قدمه للحصول على الجائزة الفرنسية ونشره باللغة الألمانية عام ١٨٦٠ تحت عنوان : «تاريخ القرآن». ويتناول القسم الأول - من هذا الكتاب الكلاسيكي - أصل القرآن. وفيه يتحدث المؤلف أولاً عن نبوة محمد وعن الوحي، ثم يتحدث بعد ذلك عن أصل الأجزاء المختلفة للقرآن. وهنا يتابع نولدكه سلفه فايل في التمييز بين ثلاثة مراحل في العصر المكي، ولكن تأسيسه لهذا التمييز كان أكثر عمقاً من عمل فايل، أما القسم الثاني فيتناول فيه

---

(٣٧) لقد درج الكتّاب الغربيون على أن يتعاملوا مع القرآن كما يتعاملون مع أي كتاب بشري ويبحثون فيه بالمقاييس ذاتها التي يطبقونها على أي كتاب بشري. وهذا أمر مفهوم لأنهم لايؤمنون أصلاً بالإسلام ولا بالوحي القرآني. ومن هنا لا يصلون إلى فهم حقيقي للقرآن الكريم.

(٣٨) ترتيب آيات القرآن وأجزاءه وسوره كلها أمور توقيفية لا دخل فيها لفكر البشر، وقد أخذناها عن محمد ﷺ الذي أخذها بدوره عن جبريل رسول الوحي بتوجيه إلهي. وكل ما يفترضه هؤلاء العلماء في هذا الصدد لا يعدو أن يكون رجماً بالغيب ومجرد ظنون لا تغني من الحق شيئا.

ولكن هذا لا يمنعنا من ضرورة التعرف على كل ما يقوله علماء الغرب عن الإسلام حتى نستطيع أن نحصن أبناء المسلمين ضد أي شكوك يثيرها الغرب حول الإسلام، وإلا كنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال ظناً منها أنها بذلك ستكون بمنجاة من الصياد.

(٣٩) وقد فاز هؤلاء العلماء الثلاثة بجائزة الأكاديمية الفرنسية وتقاسموها بالتساوي وكانت تبلغ أربعة آلاف فرنك فرنسي. (موسوعة المستشرقين ص ٤١٩).

بالبحث موضوع جمع القرآن، في حين يخصص القسم الثالث للحديث عن تاريخ النص القرآني العثماني.

شفالي :

وبعد ذلك بنصف قرن تقريباً ظهر كتاب نولدكه بعد أن قام فريدريش شفاللي(٤٠) Schwally بإعداده إعداداً جديداً رائعاً. ولم يظهر منه حتى الآن إلا القسمان الأول والثاني(٤١). وقد بذل شفاللي غاية جهده في أن يكون نص الكتاب في القسم الأول متفقاً مع المستوى الحالي للبحث، وذلك بإضافة بعض التعديلات القليلة بقدر الإمكان. ولكن في حالة ما إذا لم تكن هذه الوسيلة مفيدة فإنه يقوم باصلاح النص إصلاحاً تاماً أو يضيف إلى النص إضافات كبيرة.

وعلى الرغم من هذا العمل المحافظ فإن القسم الأول وحده قد زاد عن الأصل قدر خمسة ملازم. وهكذا يتبين من طريقة الإصلاح المشار إليها أنه من غير الممكن أن توصف الاختلافات بين الطبعة الجديدة والطبعة الأولى بأنها اختلافات شكلية. أما القسم الثاني فإنه - على العكس من القسم الأول - لايكاد يتضمن أجزاء جوهرية من النص الأصلي لنولدكه - ومن هنا فإنه في معظمه يمثل جهداً خاصا لشفاللي(٤٢).

موير :

أما العالم موير مؤلف الكتاب الكبير عن سيرة محمد فإنه قد ألف كتاباً عام ١٨٥٥ حول «شهادة القرآن لكل من العهدين القديم والجديد». وقد أعيد طبع هذا الكتاب عام ١٨٦٠. وعندما طلب منه أن يعد الكتاب لطبعة ثالثة قام بكتابة مقدمة تشتمل على وصف للقرآن وللنظام الذي تأسس عليه، وأثرى الكتاب الأصلي ببعض

---

(٤٠) تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠) مستشرق ألماني معروف، كان أستاذاً للغات الشرقية في عدد من الجامعات الألمانية، له إنتاج غزير في مجالات التحقيق والترجمة والتأليف في الأدب العربي واللغات السامية والدراسات الإسلامية.

(٤١) فريدريش شلاإالي (١٨٦٣ - ١٩١٩) مستشرق ألماني تتلمذ على نولدكه. قام بنشر المحاسن والمساوىء للبيهقي في ثلاثة مجلدات (جيش ١٩٠٢) وعنه طبع في القاهرة؛ اشترك في نشر الطبقات الكبرى لابن سعد (المستشرقون للعقيقي جـ٢ جـ٤ ص ٤١٠).

(٤٢) ظهر هذان القسمان في مجلدين في ليبتزيج (١٩٠٩-١٩١٩). أما الجزء الثالث فقد قام بإتمامه كل من برجشتراسر وبريتسل وطبع في ليبتزيج (١٩٢٦ - ١٩٣٥).

التصحيحات والإضافات(٤٣) . وعلى ذلك فالكتاب في صورته الجديدة ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يشتمل على تصوير مختصر لحياة محمد باعتبار ذلك وسيلة لا غنى عنها لتوضيح القرآن، كما تناول هذا القسم أيضاً جمع القرآن، والترتيب التقريبي للسور، وتعاليم القرآن.

أما القسم الثاني الذي يعرض فيه شهادة القرآن لكل من العهدين القديم والجديد فإنه يتضمن النقاط التالية :

(أ) الآيات التي نزل بها الوحي في مكة.

(ب) الآيات التي نزل بها الوحي في المدينة.

(جـ) النتائج المستخلصة من المواضع المشار إليها.

وقد حاول المؤلف في هذا القسم أن يثبت أن العهدين القديم والجديد كانا موجوين بكثرة في أيدى اليهود والمسيحيين في عصر محمد، وأن القرآن قد اعترف بهما بوصفهما وحياً من عند الله، وامتدحهما وكان يعتمد عليهما كثيراً، ويطلب اتباع ما جاء فيهما . . . إلخ(٤٤) .

اشبرنجر :

وقد خصص اشبرنجر أيضاً فصلاً مسهباً عن القرآن في كتابه عن حياة محمد (مجلد ٣ ص ١٨ - ٥٤ بالترقيم الروماني» . وقد ميّز اشبرنجر في هذا الفصل تمييزاً قاطعاً بين الوحي المكي والوحي المدني، وقدم تاريخاً موجزاً لجمع نصوص القرآن.

جريمه :

وكذلك يشتمل كتاب جريمه Grimme عن محمد على مقدمة عن القرآن، وفيها

---

(٤٣) على سبيل التكملة للقسم الثاني لشفالي - فصل ٦ د(ص ٦٣ - ٦٨) يراجع : هانز باورBauer : حول ترتيب السور والحروف المبهمة في القرآن - في مجلة الجمعية الألمانية الشرقية ٧٥ لعام ١٩٢١ من ص ١-٢٠ . (هامش للمؤلف).

(٤٤) سبق التعريف بالسير وليم موير عند الحديث عن الترجمات الجزئية الإنجليزية للقرآن الكريم. وأما كتابه المذكور هنا فقد صدرت منه الطبعة الجديدة المشار إليها في لندن عام ١٨٧٨ ، وأعيد طبعه بعد ذلك في حياته عدة مرات كان آخرها عام ١٩٠٣ ، أي قبل وفاته بعامين.

يتناول تاريخ نشأة القرآن، وشكل السور المختلفة وتسلسلها الزمني.

بـــول :

وأخيراً يقدم فـرانتس بـول Buhl في كتابه الممتـاز عن حيـاة محمـد عـرضـاً رائعـاً للمصادر (التى يستقي منها تاريخ) حياة محمد. ومن بين هذه المصادر يأتى القـرآن في المقام الأول.

بحوث متفرقة حول القرآن :

وبجانب الكتب الكبيرة في السيرة (ص ١٦٤ ومابعدها) نجد بحوثاً مطـولـة عن القرآن تشتمل عليها المؤلفات التى تعرض الإسلام (ص ٦٠ ومابعدها)، وتـرجمات القرآن (ص ٢٠٨ ومابعدها)، وكتب تاريخ الأدب العربي (ص ٣٩٣ ومابعـدهـا)، وتاريخ الأديان (ص ٧٧ ومـابعـدهـا)، ودوائر المعـارف العـامـة، ودائرة المعـارف الإسلامية (ص ١٥ ومابعدها).

ومن بين المقالات المنشورة في هـذه الـدوائر الموسـوعيـة نشير بـوجـه خـاص إلى المقالات المطولة عن القـرآن التي كتبهـا كل من : أوجست مـوللـر في دائرة المعـارف العامة للعلوم والفنـون، وإرش Ersch وجروبر Gruber ونولدكه وشفـاللي في دائرة المعارف البريطانية. وهذه المقالة الأخيرة لكل من نولدكه وشفاللي قد أعيد النظر فيها ونشرت أيضاً بالألمانية في كتاب نولـدكـه «لمحـات شرقيـة Orientalische Skizzen» (برلين ١٨٩٢).

وقد قام شفاللي بتقديم تكملة للمقالة الأخيرة في مقالته «تأمـلات حـول جمع أبى بكر للقرآن» المنشورة في الكتاب التذكاري لإدوارد ساخـاو (بـرلين ١٩١٤). وبنـاء على ماجاء في هذه المقالة فإن أبا بكر لم يقم بجمع القرآن بالمعنى المأثور على الإطلاق. فالمعلومات عن نشأة جمع أبى بكر للقرآن لا تتفق مع هـذا الـرأي (القـائل بجمع أبى بكر للقرآن) لا بوصفها رأياً خاصاً ولا بوصفها وثيقة رسمية[٤٥].

---

(٤٥) لقد اعترف القرآن الكريم بالأصل الموحي به من عند الله لكل من التوراة والإنجيل، فقد نزلتـا في الأصل وفيهما هدى ونور كما يقول القرآن الكريم في ذلك «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور»(المائدة ٤٤؛ «وآتيناه الإنجيل فيـه هدى ونور» (المائدة٤٦).

وفي زمن متأخر بعد ذلك كان هناك دافع لأن يقوم رجل ضئيل القدر - كان عرضة لكثير من الهجوم - مثل عثمان بمثل هذه الخدمة العظيمة. وهذه الخدمة مشهود بها جيداً من ناحية أنها لا تقبل الجدل، ومن ناحية أخرى بدا أنه من غير المعقول أن سلفي عثمان (أبا بكر وعمر) - اللذين يفوقانه بمراحل - لم يشتركا في عمل هام كهذا العمل بالنسبة للإسلام. وبتأثير من مثل هذه الاعتبارات تكوّن هناك رأي يذهب إلى أن أبا بكر وعمر قد قاما في السابق بجمع للقرآن، وأنهما بذلك قد وضعا الأساس لنسخة عثمان.

ومن بين المؤلفات التي خصصت لموضوع القرآن نشير أيضاً إلى المؤلفات التالية: القسم الرئيسي من الدراسة التي تتسم بالطابع الفلسفي أكثر مما تتسم بالطابع التاريخي والتي كتبها بارتيلمي سانت هيلير(٤٦) Barthelemy Saint - Hilaire. وتتكون هذه الدراسة من مقالات نشرها المؤلف في عامي ١٨٦٣/ ١٨٦٤ في «أعمال أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية» و «جريدة العلماء» Journal des Savants.

وقد قدم في هذه المقالات مناقشة لمؤلفات أشبرنجر وموير وكوسان دي برسيفال. وقد أعيد النظر في هذه المقالات وتم تفصيل القول فيها في كثير من النقاط، وزيادة على ذلك تشتمل هذه المقالات على المضمون الرئيسي لتاريخ النبي - الذي جاء على غرار «سيرة الرسول» -، ومقتطفات من القرآن بالإضافة إلى مقدمة.

وقد كان الهدف (الذي يرمى إليه المؤلف) هو أن يجعل المذهب المحمدي يأخذ مكانه الصحيح في تاريخ الأديان، ويبين أيضاً أهميته السياسية في الوقت الراهن.

أما مقالة ستاتلي لين - بول(٤٧) التي نشرها في Edinbugh Review (المجلد ١٥٤

= ولكن القرآن قد كشف ما طرأ عليهما بعد ذلك من تحريف وتبديل بأيدى البشر. وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين هذا التحريف. وإنه لأمر غريب أن يتجاهل موير هذه الآيات الكثيرة التى لا تخفى على أحد ويزعم أن القرآن قد اعتمد عليهما بالصورة التي كانا معروفين بها آنذاك وهي تلك الصورة التي طعن فيها القرآن.

(٤٦) لقد نقض شفالى هذا الرأي بعد ذلك كما يتضح من السطور التالية. أما وصفه بعد ذلك لعثمان رضى الله عنه بأنه كان رجلاً ضئيل القدر فهذا أمر مخالف للواقع تماما. فقد كان عثمان أحد كبار الصحابة المعدودين المبشرين بالجنة، وقد بويع خليفة للمسلمين بعد عمر رضى الله عنه تقديراً لفضله وكفاءته.

(٤٧) بارتيلمي سانت هيلير (١٨٠٥ - ١٨٩٥) كاتب سياسي له بحوث في أديان الشرق منها كتابه عن «بوذا الهندي»(١٨٥٩). أما المقالات التي يشير إليها بفانمولر أعلاه فقد أصدرها بارتيلمي سانت هيلير في كتاب بعنوان: «محمد والقرآن» عام ١٨٦٥ : Mahomet et le Coran. Paris 1865

لعام ١٨٨١ ص ٣٥٦-٣٩٧) فقد توسع فيها ورسم صورة لنشأة القرآن وللتسلسل الزمني لأجزاءه المختلفة مترسماً خطى نولدكه. وفي حين يميز أو يفضل كتاب الدين فإنه يذهب إلى القول بأن الدين لم ينبثق من الكتاب إلا بطريق غير مباشر جداً. وينظر إلى القرآن على أنه في المقام الأول كتاب إنسان، بمعنى أنه ليس كتاباً تشريعياً، وأيضاً ليس نظاماً دينياً، وإنما هو شيء أسمى من ذلك بكثير، إنه صرخة قلب، ولكنه قلب أثار بكفاحه هذا العالم(٤٨).

أما كلير - تسدالز Clair - Tisdalls الذي كان يعمل مبشراً في إيران - فإن كتابه يُعد تعديلاً لكتاب قديم كان قد ألفه بالفارسية. وقد عرف هذا الكتاب عن طريق بعض الاقتباسات التى اقتبسها منه موير بالإنجليزية في كتابه ١٩٠١ The Sources of Islam Edinturgh.

وقد تناول كلير - تسدالز في كتابه(٤٩) التأثيرات (الخارجية على الإسلام والمتمثلة في) عالم التصورات العربية القديمة، والصائبة، واليهودية، والمسيحية، ودين زرادشت، وأخيراً نزعة الحنفاء. والكتاب في تفاصيله يتسم بطابع غير نقدي وقابل للطعن(٥٠)، ولكنه نجح في نقل الاقتباسات من الكتب المسيحية غير المعتمدة (الكتب الأبوكروفية) بوضوح لا نظير له.

أما إدوارد سل Sell فإنه يحذو حذو نولدكه ويقدم لنا تقسيماً تاريخياً للسور (مرتبطاً) باللحظات المصيرية في حياة النبي. وعلى الرغم من عدم معرفة المؤلف

---

(٤٨) ستانلي لين-بول (١٨٣٢ - ١٨٩٥) كان عالماً في الآثار المصرية. عين حافظاً للنقود في المتحف البريطاني وظل في هذا المنصب حتى وفاته. ومن مؤلفاته: فهرس النقود الشرقية في المتحف البريطاني في عشرة أجزاء (لندن ١٨٧٥ - ١٨٩٠) - (المستشرقون للعقيقي جـ٢ ط٤ ص ١٦٤).

(٤٩) لعله يريد أن يقول إن شخص محمد ﷺ كان الشعلة المتوهجة التي انبثق منها الدين بطريق مباشر ثم من الكتاب (القرآ) بطريق غير مباشر. وهذا الرأي مهما كانت دوافعه خالف للواقع الإسلامي ولما هو معلوم من هذا الدين بالضرورة. محمد ﷺ كان تجسيداً حقيقياً للقرآن الكريم أو كما قيل قرآنا يمشى على الأرض. وكانت عائشة رضى الله عنها تقول: كان خُلُقُهُ القرآن. وقد قام الدين الإسلامي أساساً على الوحي القرآني وانبثق منه فلا انفصام بينهما. ومحمد ﷺ هو رسول الله الذي بلغ هذا الوحي للناس: «يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» (المائدة ٦٧).

وبصرف النظر عن ذلك كله فإن الفكرة الأساسية التى ينطلق منها ستانلى لين - بول هي أن القرآن كتاب بشري وليس وحياً سماوياً. ومن هنا كانت النتائج الخاطئة التى انتهى إليها.

(٥٠) ظهر هذا الكتاب في لندن عام ١٩٠٥ بعنوان: The Original Sources of The Qur'an.

بكتب التفسير العربية والمصادر التاريخية، وعلى الرغم من أنه من الواضح أنه لم يستخدم النص القرآني إلا في ترجمة من الترجمات - على الرغم من ذلك كله فإن الكتاب لا بأس به[٥١].

والحق أن أفضل البحوث الشاملة عن القرآن مع بيانات غنية بالمراجع قد جاءت متضمنة في «قاموس الشريعة الإسلامية»[٥٢] لمؤلفه يونبول Th. W. Juynboll. والمؤلف يتناول في الفقرة الأولى من الفصل المتعلق بالقرآن كلمة قرآن ومضمونها. أما الفصل الثاني فإنه يبحث فيه تدوين القرآن وتقسيم النص. وفي الفصل الثالث يتحدث عن تفسير القرآن وعن كتب التفسير.

تفسير القرآن :

لقد تكوّن لدى المحمديين بمرور الزمن علم خاص بتفسير القرآن هو علم التفسير. وقد كان هذا العلم في البداية يُعد جزءاً فقط من العلم العام في الحديث والفقه، ولكنه تحرر فيما بعد (من هذه التبعية)، ومن القرن الثاني الهجري فصاعداً أنتج المفسرون كماً هائلاً من المؤلفات. ويعد ابن عباس أباً لهذا العلم. ولكن ابن عباس - وهو ابن عم النبي - قد أساء استخدامه لأهداف مغرضة، وبذلك وجهه منذ البداية وجهة خاطئة[٥٣].

تفسير الطبري :

ويعد التفسير الكبير للطبري أشمل كتب التفسير القديمة، وقد استخدمه المتأخرون إلى حد بعيد. ويمثل الطبري في شخصه ذروة العلم الإسلامي القديم كله، وقد منحه الله حياة طويلة أنجز في النصف الأول منها التفسير كله : فكان تارة يكتب، وتارة أخرى يتشبع بالمادة الحية للمأثور. وقد زار كل مراكز الحياة العقلية من فارس إلى مصر الواحد تلو الآخر، واستقر آخر الأمر في بغداد لكي يمنح النصف الثاني من حياته للتعليم والتأليف.

---

(٥١) هذا التعقيب من جانب بفانموللر يغنينا عن التعليق.

(٥٢) ظهر كتاب إدوارد سل في لندن عام ١٩٠٥ بعنوان : التطور التاريخي للقرآن
. Historical Development of the Quran

(٥٣) ظهر هذا القاموس عام ١٩١٠ في ليدن وليتبزيج بعنوان : Handbuch desislamischen Gesetze 5.

وقد بلغ الطبري في علمه درجة من الشمول والكمال - في القرآن والحديث والتاريخ والفقه واللغة العربية وآدابها - لم يبلغها أحد أبداً، وربما لم يوجد لها نظير على الإطلاق.

وأهم الأعمال التى خلفها لنا الطبري تتمثل في عملين هما التفسير والتاريخ وقد حاول للمرة الأولى المستشرق لوث(٥٤) Loth - الذي رحل عن عالمنا مبكراً للأسف -

---

(٥٤) عبد الله بن عباس : ابن عم رسول الله ﷺ. وقد كان عمره عند وفاة الرسول ثلاثة عشر عاماً أو خمسة عشر، توفي عام ٦٨ هـ عن سبعين عاما، مات ودفن بالطائف وتولى وضعه في قبره محمد بن الحنفية، وقال بعد أن سوى عليه التراب : «مات والله حبر هذه الأمة». وكان ابن عباس مشهوراً بكثرة علمه وعلى درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بما في كتاب الله، ولذا انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتفسير. وكان عمر رضى الله عنه يعتد برأيه رغم حداثة سنه. وقد قال فيه ابن عمر : «ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد».

ويرجع السبب في نبوغه إلى نشأته في بيت النبوة ولزومه كبار الصحابة بعد وفاة النبي يأخذ عنهم ويروى لهم، كما كان حجة في العربية. وفضلاً عن ذلك كله فإن النبي ﷺ قد دعا له بأن يعلمه الله الكتاب والحكمة ويفقهه في الدين ويعلمه التأويل. وكان الصحابة يقدرون ابن عباس ويثقون في تفسيره. وقد أثنى عليه علي رضى الله عنه في تفسيره بقوله : «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق». وقد وجد هذا التصوير صداه لدى التابعين. وكانت هناك مدرسة بمكة يتلقى تلاميذها التفسير عن ابن عباس. وكان ابن عباس يرجع في فهم معانى القرآن إلى ما سمعه عن الرسول ﷺ مع نظر واجتهاد ومعرفة بأسباب النزول. وكان يرجع إلى أهل الكتاب في المواضع التي أجملت في القرآن، ولكن في دائرة محدودة ضيقة وبما يتفق مع الشريعة.

وقد اتهم جولدتسهير في كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي للقرآن» - ابن عباس بأنه أخذ الكثير من أهل الكتاب، وأن الصبغة اليهودية قد صبغت مدارس التفسير القديمة، وبخاصة مدرسة ابن عباس بسبب اتصالهم بمن دخل في الإسلام من أهل الكتاب رغم نهى الرسول عن الأخذ منهم وعدم تصديقهم أو تكذيبهم : فقد قال ﷺ : «لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»(فتح الباري ٨/ ٢٠ المطبعة السلفية).

والحق أن ابن عباس كان يسأل علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام فيما لايتصل بالعقيدة، وإنما فيما يتصل ببعض القصص والأخبار الماضية، وحتى هذا لم يكن كله يؤخذ على علاته. وقد نهي ابن عباس نفسه عن التوسع في الأخذ من بني إسرائيل. فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال : «يامعشر المسلمين : تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله».

وكان ابن عباس يرجع في تفسيره في فهم معانى الألفاظ الغريبة في القرآن إلى الشعر الجاهلي، وقيل عنه إنه هو الذي ابتدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن.

وقد روى عن ابن عباس في التفسير ما لايحصى كثره، وتعددت الروايات عنه واختلفت طرقها. وقد حصر العلماء هذه الطرق في تسعة أصحها وأجودها طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبى طلحة عن ابن عباس، وأوهاها طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس.

وهناك تفسير مطبوع منسوب لابن عباس بعنوان (تنوير المقابس من تفسير ابن عباس) جمعه أبو طاهر محمد بن

حاول إخراج الكتاب الأول، فنظر فيه وعرض ثلاثة نماذج. وهناك نظرة مكتملة عن أثر الطبي بوصفه عالماً ومؤلفاً ومعلماً يقدمها لنا ابن عساكر في فصل مطول من كتابه الكبير عن دمشق، وقد قدم لنا جولد تسيهر بعرض المقتطفات من هذا الفصل.

وقد كتب كذلك (المستشرق الهولندي) دي جوييه M. J. De Goeje مقابلة مطولة عن الطبري وقدامى المؤرخين العرب في دائرة المعارف البريطانية (٢٣-٩، ١٨٨٨ ص ٥٠١). ولكن هارسلاتير Haussleiter هو أول من جعل التفسير الكبير للطبري ميسور الاستعمال عن طريق الفهرس الرائع الذي قام بإنجازه.

تفسير الزمخشري :

أما تفسير الزمخشري فإنه يُعد عملاً ممتازاً في مجال الجدل النظري والبياني. ويشتمل على بحوث ثرية ودقيقة حول أمور لغوية ودينية لم تخطر على بال محمد(٥٥). ومن الطبيعي - والحال كذلك - ألا يكون هناك مكان في هذا التفسير للإيضاح البسيط للكلمات والمعاني أو بيان الظروف التاريخية للوحي في كل موضع على حدة - وعلى الرغم من ذلك فإن تفسير الزمخشري سرعان ما حظي بشهرة واسعة، وزاحم التفاسير السابقة مع أن الزمخشري لم يكن أصولياً، بل كان منتمياً للمذهب المعتزلي.

تفسير البيضاوي :

وقد استخدم البيضاوي في تفسيره تفسير الزمخشري إلى حد بعيد، ولكنه أضاف إلى ذلك أيضا مادة غزيرة من مصادر أخرى. وقد أخرج فلايشر Fleischer تفسير

يعقوب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت (دون تاريخ). وروي عن ابن عباس في هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وقد أشرنا إلى أن طريق محمد بن السائب الكلبي أوهى الطرق وأضعفها. وقد روي عن الشافعي أنه قال : «لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث».

وهكذا كثر الوضع والاختلاق على ابن عباس. ولكن ليس معنى ذلك أن كل ما نسب إلى ابن عباش في التفسير لا قيمة له من الناحية العلمية، وإنما الشيء الذي لا قيمة له هو نسبته إلى ابن عباس. والسر في كثرة الوضع على ابن عباس هو أنه كان من بيت النبوة، والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وضع على غيره. (راجع : التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي جـ١ ص ٦٥-٨٣ دار الكتب الحديثة ١٩٧٦).

(٥٥) أو لوث O. Loth (١٨٤٤ - ١٨٨١) مستشرق ألماني، تتلمذ على فلايشر في ليبتزيج وحصل على درجة الأستاذية برسالته عن ابن سعد، وله بحوث عن الكندي وابن المعتز والطبقات لابن سعد. (المستشرقون للعقيقي جـ٢ ص ٣٨٦).

البيضاوي وبذل فيه قصارى جهده بما له من معرفة لغوية رائعة. ويُعد هذا التفسير اليوم لدى السنيين أفضل التفاسير ويكاد أن يكون مقدساً[٥٦].

ويمتاز تفسير البيضاوي بأنه مختصر وشامل، ويحتوي على مادة غزيرة، ولكنه ليس دقيقاً، وليس وافياً لأي من التخصصات التي وضعها في اعتباره. وفي هذا التفسير تظهر الآراء الأشعرية في مقابل آراء الزمخشري المعتزلي على الرغم من أن البيضاوي قد اعتمد على الزمخشري اعتماداً تاماً.

وقد قدم لنا مرجليوث[٥٧] مختارات ممتازة من تفسير البيضاوي، وهي لا تُعد فقط مدخلاً جيداً لنقد القرآن، وإنما تُعد أيضاً بصفة خاصة مدخلاً إلى التاريخ المبكر للعقائد الإسلامية وتطور الفرق المختلفة. وقد اختار مرجليوث السورة الثالثة لما لها من أهمية بالغة من وجهة النظر الدينية والجدلية والتاريخية. وتعد ترجمة مرجليوث للنص ترجمة أصيلة وواضحة. ويتضح من المدخل والهوامش المختلفة تمكن مرجليوث جيداً من المراجع الوفيرة لتراث المسلمين في الحديث والنحو وعلم الكلام.

وقد قدم لنا فل Fell فهرساً متقناً ودقيقاً جداً لتفسير البيضاوي وقد جاء هذا الفهرس أو الدليل موفقاً غاية التوفيق بالنظر إلى ما يشتمل عليه تفسير البيضاوي من كم هائل من الملاحظات الممتازة حول التعاليم العقدية والأخلاقية للقرآن، وحول الطرق العلمية لتفسير النصوص والتفسير اللغوي، وحول القواعد النحوية والاشتقاق.

تفسير السيوطي :

ومن التفاسير الميسرة كثيرة التداول تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. وأفضل نظرة إجمالية على كتب التفاسير نجدها لدى السيوطي في كتابه تفسير القرآن وكتابه «الإتقان» الذي يُعد بمثابة مقدمة أو مدخل إلى القرآن.

---

(٥٦) لم يكن محمد ﷺ في حاجة إلى مثل هذه البحوث لأنه كان أعلم الناس بالوحي الذي ينزل عليه، أما نحن فإننا في حاجة إلى إعمال الفكر وكد الذهن حتى نستطيع أن نفهم النصوص القرآنية وندرك ما ترمى إليه من أهداف. ومن هنا تعددت تفاسير القرآن وتنوعت أساليبها ومناهجها.

(٥٧) الإسلام لا يضفى أي لون من ألوان القداسة على أي عمل بشري مهما بلغت درجته من الكمال. وتفسير البيضاوي جهد بشري يشكر صاحبه عليه، ولكن ليس معنى ذلك أنه معصوم. فهو في النهاية بشر يخطئ ويصيب، والكمال لله وحده.

ومما يؤسف له أن المؤلف قد توفى قبل أن يتمكن من إتمام كتابه الأول(٥٨) . وكثيراً ما نجد اسم مفسر من المفسرين (في مخطوط من المخطوطات) وبعده مكان خال في المخطوط . وقد فصل جولد تسيهر بصفة خاصة القول في تقدير التأثير الأدبي للسيوطي .

جولد تسيهر وتاريخ التفسير :

ويقدم لنا جولد تسهير نظرة ممتازة على تاريخ التفسير العربي للقرآن في محاضراته التي ألقاها في جامعة أوبسالا Upsala (بالسويد) . والتي ترجمها (المستشرق السويدي المعروف) تور أندريه إلى السويدية من مخطوط المؤلف . وقد نشرت هذه المحاضرات بالألمانية أيضاً(٥٩) .

ويميز جولد تسهير بين مراحل مختلفة لتفسير القرآن . فقد كان هناك (في البداية) عصر المرحلة الساذجة لتفسير القرآن . وقد أعقب هذه المرحلة عصر التفسير بالمأثور (ابن عباس والطبري) . ومع التفسير التقليدي ظهر العقليون الذين راحوا يؤسسون التفسير الاعتقادي للقرآن (على أسس عقلية) مثل الزمخشري .

وقد كان للتصوف أيضاً تفسير خاص للقرآن (الغزالي وابن عربي) . وهناك عامل ثالث من عوامل التفسير المذهبي للقرآن يتمثل في تفسير أصحاب الفرق . وفي الفصل

---

(٥٨) د . س . مرجليوث Margoliouth (١٨٥٨-١٩٤٠) مستشرق إنجليزي معروف، كان أستاذاً للعربية في جامعة أكسفورد، وله دراسات عديدة عن الإسلام وتاريخه والأدب العربي وأصوله . وقد اعتمد الدكتور طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي» على بحث مرجليوث «أصول الشعر العربي» (١٩٢٥) .

(٥٩) جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ولد عام ٨٤٩ هـ) قال عن نفسه إنه رزق التبحر في سبعة علوم هي التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبديع والبيان، وأنه بلغ في هذه العلوم مبلغاً لم يصل إليه أحد من أشياخه فضلاً عمن دونهم . وتفسير السيوطي المعروف باسم (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) تفسير مطبوع في ستة مجلدات كبيرة، وبهامشه تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . (دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت) .
وفي مقدمة هذا الكتاب يشير السيوطي إلى أن تفسير «الدر المنثور» اختصار لكتاب آخر هو كتاب «ترجمان القرآن» . ونص عبارته جاء على النحو التالي : «فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وتم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت فيه هذا المختصر مقتصراً فيه على متن الأثر مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب يعتبر، وسميته بالدر المنثور في التفسير بالمأثور» (جـ١ ص٢) . وقد انتهى المؤلف من تبييضه = كما جاء في نهاية المجلد السادس - يوم عيد الفطر سنة ٨٩٨ هـ . وهذا يتناقض مع ما يقوله بفانموللر أعلاه من أن السيوطي قد توفي قبل أن يتمكن من إتمام كتابه في التفسير .

الختامي من كتابه يتحدث جولد تسيهر عن الاتجاه الحديث في الإسلام وتفسيره للقرآن. (سيد أمير علي)[٦٠].

بحوث متفرقة حول التفسير :

وليس لدينا للأسف - حتى الآن - تفسير مفصل للقرآن في لغة أوربية، لا يكتفى فقط بمجرد نقل آراء المفسرين العرب حول القرآن، وإنما يقدم المعنى التاريخي الحقيقي لكلمات القرآن كما فهمها محمد.

تشتمل ترجمات القرآن على إسهامات قيمة لتفسير القرآن، وبصفة خاصة ترجمة كل من ماراتشي وسيل. وقد أعاد Wherry طبع ترجمة سيل وأضاف إليها بعض الهوامش الجدلية. وتشتمل (على مثل هذه الإسهامات) أيضاً المؤلفات الكبرى في سيرة محمد، وبخاصة مؤلفات اشبرنجر وموير وجريمه (ص ١٧٩ ومابعدها)، والمختارات القرآنية (ص ٢١٩)، وتاريخ القرآن لنولدكه - شفالى (ص ٢٢٢)، ومقالات في تفسير القرآن لهارتفيج هرشفيل H. Hirschfeld (ص ١٠٢ ومابعدهما).

أما كتاب باوتس Pautz «نظرية محمد في الوحي»[٦١] فإنه يقدم تفسيراً لغوياً وموضوعياً رائعاً لكل المواضع الهامة تقريباً في القرآن. وعلى من يريد أن يقرأ القرآن في النص الأصلي، ويترجمه ترجمة سليمة، ويفهمه فهماً حقيقياً، أن يبدأ بصفة خاصة بدراسة هذا الكتاب.

جهود جزئية لتفسير القرآن :

وهناك بطبيعة الحال إسهامات جزئية كثيرة لتفسير القرآن. ونحن نبرز فقط من

---

(٦٠) لقد ترجم كتاب جولدتسيهر عن مذاهب التفسير إلى العربية تحت عنوان (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى)، وكان نشره بالألمانية أول مرة عام ١٩٢٠ تحت عنوان :

Die Richtungen der Islamischen Koranaulegung. Leiden 1920

وحول جولدتسيهر وتور أندريه يراجع كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب. صفحات ٣٦-٤١، ١٠٥-١١١، ١٨٦.

(٦١) سيد أمير علي : كاتب هندي مسلم توفى عام ١٩٢٨. كان من كبار الموظفين الهنود ومن قضاة المحكمة العليا في البنغال. ومن مؤلفاته بالإنجليزية : حياة محمد وتعاليمه أو روح الإسلام (لندن ١٨٧٣). وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية أمين محمود الشريف تحت عنوان : روح الإسلام (القاهرة ١٩٦١). وله أيضاً : أخلاق الإسلام (كلكتا ١٨٩٤)، والإسلام (لندن ١٩٠٦)، والإسلام ونقاده. (راجع كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ٦٢).

بينها الأعمال الهامة التالية :

موللـــر :

يحاول د. هـ. موللر(٦٢) Mueller إثبات (وجود) القواعد الأساسية للشعر السامي القديم في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) والكتابات المسمارية والقرآن. ويعتقد أنه قد اكتشف في القرآن مقاطع شعرية بجانب الشكل الفني للسجع. وقد أخذ النبي بناء المقاطع الشعرية من معلميه اليهود والنصارى، وتعمد إخفاء ذلك عن أتباعه، وغطى ذلك بالكثير من عدم التناسب في التفاصيل لكي يعلى من إثارة الوحي المعجز(٦٣).

فوللـــرز :

أما فوللرز Vollers فإنه قد اختار أصعب المشكلات في علم القرآن موضوعاً لكتابه(٦٤)، وحاول بما يتمتع به من علم غزير أن يثبت أن القرآن قد تم تأليفه في الأصل بلهجة مكة، ثم بعد ذلك تمت صياغته في لغة النثر العربي القديم(٦٥).

وتشكل مقالة جاير Geyer حول «آيات القرآن» تكملة لهذا الموضوع. وقد كان لنولدكه أيضاً رأي في هذه القضية الصعبة في بحثه «مقالات جديدة فيعلم اللغات السامية».

د. فـــوراك :

أما دفوراك Dvorak فإنه قد تناول في بحثه الكلمات الأجنبية في القرآن، أو بمعنى

---

(٦٢) راجع الحلقة السابقة ص ٥٧ ومابعدها من العدد الرابع من هذه المجلة.

(٦٣) د. هـ. موللر (١٨٤٦ - ١٩١٢) مستشرق نمساوي. كان أستاذاً للغات السامية بجامعة فيينا. نشر عدداً من المؤلفات العربية، وترجم وشرح بعضها، واشترك في نشر تفسير الطبري. وكتابه الذي يعتمد عليه بفانموللر هنا هو كتاب : «الأنبياء في صورتهم الأصلية» الذي صدر في مجلدين في فيينا عام ١٨٩٥.

(٦٤) إذا كانت هذه المزاعم التى يرددها موللر صحيحة فكيف سكت اليهود والنصارى حينذاك عن مواجهة محمد ﷺ بها؟ ولماذا لم يخبروا مشركي مكة بخبرها؟ لقد كان خصوم محمد يحاربونه بشتى الوسائل، فلماذا سكت الجميع عن الإعلان عن هذا «الاكتشاف الخطير» الذي يزعم موللر أنه قد اكتشفه الآن؟ إن هناك تفسيراً واحداً فقط لذلك وهو أنه زعم موللر زعم باطل تماما، ويعد من قبيل السخافات التي لم يسمح خصوم محمد لأنفسهم حينذاك بأن يورطوا أنفسهم فيها حتى لا يكونون عرضة للسخرية.

(٦٥) صدر هذا الكتاب عام ١٩٠٦ في اشتراسبورج تحت عنوان : اللغة الدارجة والعامية في بلاد العرب قديماً.

أصح بعض الكلمات الأجنبية في القرآن(٦٦) . والبحث ينم عن اجتهاد كبير ومعرفة جيدة باللغة العربية . ولكنه - للأسف - لا يقدم كسباً للعلم إلا في أقل القليل . فالمؤلف - كما يرى نولدكه - قليل المعرفة بالآرامية والفارسية .

هـوارت :

ويعتقد هوارت Huart أنه قد توصل إلى نتيجة مؤداها أن شعر الحنفاء قبل الإسلام، وبصفة خاصة شعر أمية (بن أبى الصلت) يُعد أحد منابع القرآن . ولكن هذا الرأي لم يجد قبولاً إلا لدى قلة قليلة(٦٧) .

جريمه :

وقد قرر جريمه Grimme أن القرآن له وجه مزدوج(٦٨) : التجاه المكي لتعاليم القرآن - وقد كان هذا الاتجاه في الغالب من نوع ديني أخلاقي . والاتجاه المدني : وقد كان بصفة رئيسية من نوع سياسى ينحو نحو الحكم الدينى . وكل من هذين الوجهين قريب الصلة بالآخر ولكنهما في التعبير العام مختلفان تماماً . فمن الوجه المكي تطالعنا المحبة والتسامح، ومن الوجه المدني يطالعنا الانفعال وعدم التسامح . وبوحي من روح المدينة ألقى الإسلام بنفسه في طريق العمل العسكري والسياسي .

ولكن ظل هناك بجانب ذلك أيضاً ضوء هادىء من الأخلاق المكية يتوهج في صمت . وقد تغذى هذا الضوء بصفة خاصة بمختلف الأحاديث المأثورة التي وضعت على لسان محمد، وكذلك بأنفاس التصوف الشرقي الذي ذابت فيه المحبة الشاملة لله وللإنسان في وحدة لا تنفصم . والتطور الحديث للإسلام يندفع الآن في تزايد مستمر إلى التوفيق بين هذين الاتجاهين، حيث يتم بصفة خاصة إسقاط أجزاء هامة من المنهج المدني بوصفها لم تعد صالحة(٦٩) .

---

(٦٦) القرآن الكريم منذ نزل وحياً من عند الله - لا تأليفاً من عند محمد - «بلسان عربي مبين» - كما أخبرنا القرآن نفسه - لم يتغير منه حرف واحد، ولم يقم أحد بإعادة صياغته، وقد تكفل الله ذاته بحفظه وصيانته كما نزل أول مرة «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» .

(٦٧) نشر هذا البحث بعنوان «حول الكلمات الأجنبية في القرآن» في : تقارير اجتماعات أكاديمية العلوم بفيينا - القسم الخاص بالتاريخ والفلسفة . العدد ١٠٩ لعام ١٨٨٥ من ص ٤٨١ حتى ص ٥٦٢ .

(٦٨) نشر بحث هوارت بالفرنسية في المجلة الآسيوية - مجلد ١٠ مسلسل ٤ لعام ١٩٠٤ ص ١٢٥-١٦٧ .

(٦٩) جاء ذلك في بحثه «الوجه المزدوج للقرآن» المنشور في حوليه بروسيا - العدد ١٦٧ لعام ١٩١٧ ص ٤٢-٥٤ .

بـــارت :

أما بحث بارت J. Barth «دراسات في نقد القرآن وتفسيره»(٧٠) فإنه لم يتعرض إلى الكشف عن التسلسل الزمني للسور المختلفة ومناسبات نشأتها، ولكن هذه الدراسات تريد أن تفحص الارتباطات أو العلاقات الداخلية للسور، وتفحص الخلل المحتمل في هذه العلاقات، وتريد أن تثبت أن هناك إضافات إلى العلاقات أو الارتباطات الأصلية، كما تريد أن تقدم إسهامات نقدية أخرى، وأن تقدم أيضاً نقداً للنص.

ومن السور المكية التي تناولتها الدراسة السور التالية : ٦، ٧، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٥ حتى ٤٣، ٤٦، ٥٦، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١١١(٧١).

كما تناولت الدراسة من السور المدنية ما يأتي : سورة ٢، ٣، ٤، ٩، ٢٢، ٤٧، ٤٨، ٥٧.

الحديـث النبـوي :

(أ) ببليوجرافيا الحديث :

يقدم لنا شوفان ببليوجرافيا موجزة للحديث(٧٢) تقع في قسمين : أما القسم الأول

---

(٧٠) الإسلام كل متكامل : دين ودنيا، عقيدة وشريعة وأخلاق، نظام شامل للحياة بكل أبعادها، لا تنافر بين أجزائه، ولا تناقض بين تعاليمه. وهذا ما يجده كل باحث نزيه في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. والإسلام لم يأمر بالقتال حباً في القتال، وإنما لرد العدوان فقط، وعامل الأعداء بأخلاق الإسلام السمحة. والتاريخ شاهد على ذلك. وعندما عامل صلاح الدين أعداء الإسلام من الصليبيين بتسامح فريد من نوعه أدهش الصليبيين فإنه كان يطبق تعاليم الإسلام في معاملة الأعداء.

وأخلاق الإسلام لم تكن ولن تكون في حاجة إلى أنفاس التصوف الشرقي لتغذيها. فرسالة الإسلام كلها جاءت لترسيخ دعائم الأخلاق. وقد لخص النبي ﷺ رسالته كلها في هذه العبارة الجامعة «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». أما محاولات العلمانيين من أبناء المسلمين في العصر الحديث في التخلي عن بعض تعاليم الإسلام مسايرة للعصر فهذه أمور لا صلة لها بالإسلام الذي كان وسيظل هو هو، فلا مبدل لكلمات الله. ومهما اعترت الإسلام عصور ضعف ناتج عن ضعف أتباعه فإن ذلك يعد أمراً عرضياً سيزول حتماً في يوم من الأيام عندما تتغير العقلية الإسلامية وتعود إلى الفهم الصحيح الواعي للإسلام وتعاليمه.

(٧١) نشر هذا البحث في مجلة الإسلام Der Islam العدد رقم ٦ لعام ١٩١٦ ص ١١٣-١٤٨.

(٧٢) لم ترد أرقام السور في البحث أعلاه على هذا النحو من التسلسل. وقد رتبناها على هذا النحو حسب تسلسل ورودها في القرآن الكريم.

فإنه يشتمل على مقدمات وأبحاث حول الحديث. وأما القسم الثاني فإنه يتضمن نصوصاً وترجمات (من كتب الحديث)، ومن صحيح البخاري على وجه الخصوص.

ويشير جولدتسيهر في كتابه الكلاسيكي عن الحديث(٧٣) في هامش الصفحة السادسة إلى أهم المراجع التي ظهرت عن الحديث قبل صدور كتابه.

وهناك بطبيعة الحال معلومات ثرية عن المراجع في «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان، وكذلك في «قاموس الشريعة الإسلامية» الممتاز ليونبول، وفي مقالته عن الحديث في دائرة المعارف الإسلامية.

وفي الملحق القيم للمجلد الثاني من كتاب نولدكه «تاريخ القرآن» - الذي قام شفاللي بإعداده إعداداً جديداً - يتناول شفاللي الأحاديث الصحيحة والمراجع الحديثية وذلك عند بحثه لموضوع المصادر المحمدية.

(ب) المجموعات الحديثية :

فهرس ألوارد :

في كل المكتبات الكبيرة (في أوربا) يجد المرء مخطوطات حديثية. وهناك بصفة خاصة مجموعة غنية (من هذه المخطوطات) في حوزة مكتبة برلين. وقد خصص ألوارد(٧٤) لهذه المجموعة المجلد الثالث من الفهرس الذي وضعه للمخطوطات العربية في برلين. وقد جاءت موضوعات هذا المجلد (حسب تقسيمه للمخطوطات) على النحو التالي :

١ - مقدمة في علوم الحديث وأنواعه ومصطلحه.
٢ - مجموعات الكتب الحديثية الست الرئيسية.
٣ - مجموعات حديثية كبيرة أخري.
٤ - مجموعات حديثية صغيرة.
٥ - الأجزاء الحديثية.

---

(٧٣) وذلك في الفصل الذي خصصه للكلام عن القرآن والحديث في المجلد العاشر من كتابه : «فهرس المصنفات العربية أو المصنفات المتصلة بالعرب». وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في صفحة ٨ من هذا البحث.

(٧٤) لقد تحدث جولدتسيهر بالتفصيل عن تطور الحديث في القسم الثانى من كتابه «دراسات محمدية» الذي صدر بالألمانية عام ١٨٩٠ في هالة بألمانيا.

٦ - أحاديث متفرقة .

٧ - الأحاديث المسلسلة ، أو سلاسل الحديث .

٨-١٠ أحاديث ذات سلاسل متعددة ، أحاديث منسوخة ، أحاديث ضعيفة أو موضوعة .

١١ - قطع وشذرات .

١٢ - المعاجم .

١٣ - المبهمات .

صحيح البخاري :

لقد نشر لودولف كريل(٧٥) Krehl عام ١٨٥٠ دراسة عميقة عن البخاري في مجلة الجمعية الألمانية الشرقية ZDMG ثم قام بإعداد نشرة ضخمة لصحيح البخاري منذ عام ١٨٦٢ . ولكن هذه النشرة لم تكتمل وتوقفت عام ١٨٦٨ . وقد أكمل يونبول نشر الأجزاء الباقية عامي ١٩٠٧ , ١٩٠٨ . ويشتمل النصف الثاني من المجلد الرابع على ختام النص . أما المجلد الخامس فقد تم التخطيط له على أساس أن يشتمل على مقدمة ومعجم للمصطلحات وهوامش وفهارس .

---

(٧٥) فيلهلم ألوارد Ahlwardt (١٨٣٨ - ١٩٠٩) مستشرق ألماني ، له جهود كبيرة في مجال الأدب العربي وتاريخه ، وقد نشر العديد من دواوين الشعر العربي بعد تحقيقها وشرحها . وبالإضافة إلى شهرته في هذا المجال نال أيضا شهرة واسعة في مجال فهرسة المخطوطات . فقد قام بإنجاز فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات كبيرة ، ونشر هذا الفهرس في برلين في نهاية القرن الماضى (١٨٨٧ - ١٨٩٩) .

وقد وصف ألوارد في هذا الفهرس ما يربو على عشرة آلاف مخطوط عربي وصفاً دقيقاً بلغ فيه الغاية فناً وشمولاً . ولعل مراكز بحوث السنة والسيرة تنتفع بما أورده ألوارد في المجلد الثالث حول مخطوطات الحديث النبوي وعلومه . وعلى الرغم من المآخذ التي نأخذها على المستشرقين في كثير من المواطن فإن هذا لا يمنعنا من أن ننوه بالجهد الكبير الذي قاموا به نحو حفظ المخطوطات العربية وصيانتها والعناية بها عناية فائقة وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً ، وتشير إلى ما يتضمنه من موضوعات ، وتذكر اسم المؤلف وتاريخ ميلاده ووفاته ، وتاريخ تأليف المخطوط أو نسخه ، وبداية ونهاية المخطوط ، وتصف حالة المخطوط وحجمه والخط الذي كتب به ، وغير ذلك من أمور عديدة قدمت للباحثين خدمة جليلة ، وأتاحت لهم فرصة الاطلاع على المخطوطات في مقر وجودها أو طلب تصويرها دون صعوبات روتينية أو اجراءات معقدة كما هو الحال الغالب - للأسف - في كثير من بلادنا الإسلامية . (راجع كتابنا : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . ص ٧٣ ومابعدها - دار المنار بالقاهرة ١٩٨٩ ، وراجع أيضاً : المستشرقون للعقيقى جـ٢ ط٤ ص ٣٨٣) .

وقد نشر تـوراى(٧٦) Torrey مختـارات جيـدة من صحيح البخـاري في سلسلـة الدراسات السامية Semitic Study – Series .

ومن الأعمـال القيّمـة جـداً بـالنسبـة لكل هـؤلاء الـذين يـريـدون أن يكـونـوا لأنفسهم صـورة عن كتـب الحديـث الهامـة الكثيرة دون أن تكـون لـديهم درايـة باللغـة العربيـة - تُعـد الترجمـة الفـرنسيـة لصحيح البخـاري التي بـدأهـا كل من هوداس O. Houdas ومركيز W. Marcais (٧٧).

والأمر الهام بالنسبة للمترجمين (المشار إليهمـا) ينحصر في فتح مغاليق المضمـون؛ أما المسألة التي هي في حد ذاتها هامة جداً وهي مسألة سلسلة الرواة فلم يتعـرضـا لها بالبحث. وقد ألحق بالمجلد الثاني من هذه الترجمة مقدمـة مـؤقتـة تتنـاول بـاختصـار المراجع الحديثية بصفة عامة، وحياة البخاري وطبيعة كتابـه وقـواعـد الترجمة. وقـد أعدت خطة هذه الترجمة على أساس أن تصدير في أربعة مجلدات، يضاف إليهـا مجلـد خامس يشتمل على الفهارس الضرورية والمقدمة النهائية.

مجمـوعات حديثيـة أخـرى :

وبجانب البخاري يحتل مسلم المنزلة الأسمى في الحديث. وبالإضافـة إلى هـذين هناك أيضا مجموعات حديثية أخرى لأربعة آخرين.

وقد قام العلماء المسلمون أيضاً فيما بعد بإعداد مجموعات حـديثيـة أخـرى كثيرة، ولكنها كانت في أغلب الأحيان لا تعدو أن تكون تجميعاً من مضمون الكتب الستة.

ومن بين هـذه المجمـوعـات «مصـابيح السنـة» للبغـوي من القـرن الثـاني عشر (الميلادي). وقد قام التبريزي بإعادة النظر فيها وإعدادهـا إعـداداً جيـداً. وقـد قـام ماتيوز(٧٨) Matthews بترجمة هذا الإعداد الجديد إلى الإنجليزية عامي ١٨٠٩-١٨١٠

---

(٧٦) ل. كريل (١٨٢٥ - ١٩٠١) مستشرق ألماني، عاون على نشر الجزءين الأولين من نفح الطيب للمقري بمقـدمـة فرنسية. ونشر من الجامع الصحيح للبخاري ثلاثة أجزاء (ليدن ١٨٦٢-١٨٦٨). ومن مـؤلفـاتـه أيضـاً كتـاب بعنوان : حياة محمد ودعوته (ليبتزيج ١٨٨٥) - راجع العقيقي : المرجع السابق ص ٣٧٦.

(٧٧) تشارلز توراي (ولد عام ١٨٦٣) مستشرق أمريكي، كان أستاذاً للغات السامية في جامعـة ييل. لـه العـديـد من البحوث في مجال الدراسات العربية والإسلامية ودراسات الكتاب المقدس.

(٧٨) صدرت ترجمة هوداس ومركيز في باريس في الفترة من ١٩٠٣ حتى ١٩١٤.

(ونشرت الترجمة في كلكتا). وقد ظل هذا الكتاب مدة طويلة يُعد الترجمة الوحيدة من كتب الحديث العربية إلى لغة أوربية على الرغم من أن بوكوك وماراتشي وسيل قد سبق أن قدموا مقتطفات كثيرة من هذه الكتب. ومجموعة «مصابيح السنة» منتشرة حتى اليوم انتشاراً بعيداً بسبب غزارتها وفائدتها العملية، وهي تعوض المسلم، وبخاصة نصف العالم، عن كل المجموعات الحديثية القديمة الأخرى.

المعجم المفهرس :

الاستخدام العلمي لمضمون «الحديث» الإسلامي لا يتيسر إلا عن طريق معجم أبجدي للكلمات. وينبغي أن يشتمل مثل هذا المعجم على إيراد الكلمات ذات الطابع الخاص والتى ترد في الأحاديث، وأن تكون مصحوبة ببعض الكلمات السابقة عليها أو اللاحقة لها في النص. وهذا أمر يتضح أنه ضروري لغرض الاستدلال السريع (على الحديث المطلوب). وقد شرع في العمل في مثل هذا المعجم يونبول ولإينسنك وهو روفتس وغيرهم. ويريد هؤلاء العلماء أن يبدءوا بصحيح البخاري[٧٩].

(جـ) بحوث حول الحديث :

بحوث متفرقة :

يعد اشبرنجر أول من أشار إلى أهمية الحديث في الإسلام. وبجانب مقالاته المتفرقة في هذا الصدد يؤخذ في الاعتبار بصفة خاصة بحثه المطول عن السنة في كتابه عن حياة محمد.

وقد خصص موير أيضاً فصلاً مطولاً عن الحديث في كتابه عن سيرة محمد. وكذلك الشأن بصفة عامة في كل البحوث التي تتحدث عن حياة محمد حيث تتناول «الحديث» بالبحث عند مناقشتها لقضية المصادر.

وبدافع من أعمال فايل واشبرنجر وموير يقدم سالزبوري Salisbury إسهامات لمعرفة «الحديث» على أساس من المصادر الأصلية، وبخاصة صحيحي البخاري ومسلم. أما إشارات فون كريمر في كتابه «تاريخ حضارة الشرق» فإنها لا تدعي أنها تقدم شيئاً أكثر من نظرة عامة.

---

(٧٩) ب. ماتيوز مستشرق إنجليزي. نشر كتاب إيمان العرب، وله بحوث عن الشرق الأدنى (العقيقي جـ ٢ ص ٦٨).

بحوث جولدتسيهر :

نحن مدينون بالفضل - في الفهم العميق للطابع الحقيقي وللأهمية التاريخية للحديث - للبحوث المختلفة لسنوك هورجرونيه، ولكننا بصفة خاصة ندين بالفضل في ذلك لاجناتس جولدتسيهر Goldzieher الذي يُعد أعمق العارفين بعلم الحديث الإسلامي.

لقد تناول جولدتسهير في القسم الثاني من كتابه «دراسات محمدية» موضوع تطور الحديث تناولاً عميقاً، وراح - بما له من علم عميق واطلاع يفوق كل وصف - يبحث التطور الداخلي والخارجي للحديث من كل النواحي. وقد اغترف من الكثير أينما كان، ولكنه لم يتعثر أو يغرق في المادة الحديثية، بل كان يعرف في كل ماكان كيف يميز بين الأمور الهامة والأمور الثانوية.

وقد أدت به المعايشة العميقة لمادة الحديث الهائلة إلى الشك في الحديث، ولم يعد يثق فيه مثلما كان «دوزي»(٨٠) لا يزال يفعل في بحثه «مقال في تاريخ الإسلام». وكان جولدتسيهر يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني. فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول : عهد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام. ويقدم جولدتسيهر مادة هائلة من الشواهد لمسار التطور الذي قطعه الإسلام في تلك العصور التي تم فيها تشكيله من بين القوي المتناقضة والتباينات الهائلة حتى أصبح في صورته النسقية(٨١).

---

(٨٠) لقد كتب بفانموللر هذا الكلام عام ١٩٢٣. وقد تم بعد ذلك نشر المعجم المرتقب تحت عنوان : «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف» في الفترة من عام ١٩٣٦ حتى ١٩٦٩ في سبعة مجلدات كبيرة. ويشمل هذا المعجم كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل. وقد قدم هذا المعجم خدمة جليلة للباحثين والمشتغلين بالحديث النبوي في الشرق والغرب على السواء.

(٨١) راينهارت دوزي Dozy (١٨٢٠ - ١٨٨٣) مستشرق هولندي كبير، اشتهر بوجه خاص بأبحاثه في تاريخ العرب في أسبانيا، وقد رجع في ذلك إلى معظم المخطوطات الموجودة في أوربا والمتعلقة بهذا الموضوع. ويعد كتابه «تاريخ المسلمين في أسبانيا» - في أربعة مجلدات - من أكبر الأعمال التاريخية التى كتبها المستشرقون. وقد اشتهر دوزي أيضاً بمعجمه «تكملة المعاجم العربية» في جزءين. (موسوعة المستشرقين ص ١٧٢ ومابعدها).

وبعد فصل تمهيدي يوضح فيه جولدتسيهر مفهوم الحديث ويبين بجلاء الفرق بينه وبين السنة - يصور التطور التدريجي للحديث، ويبرهن بأمثلة كثيرة وقاطعة كيف كان الحديث انعكاساً لروح العصر، وكيف عملت على ذلك الأجيال المختلفة، وكيف راحت كل الأحزاب والاتجاهات في الإسلام تبحث لنفسها من خلال ذلك عن إثبات لشرعيتها بالاستناد إلى مؤسس الإسلام، فأجرت على لسانه الأقوال التى تعبر عن شعاراتها. وبالإضافة إلى ذلك يشير جولدتسيهر إلى أن الحديث كان يعد بمثابة وسيلة لراحة النفس والتسلية عنها، وكيف كان المرء غالباً ما يقوم برحلات طويلة بغرض التزود من الأحاديث الصحيحة.

وبجانب المرويات الشفهية يتناول جولدتسيهر في النهاية في فصلين أخيرين الكتابات التحريرية للحديث وأهم المراجع في الحديث. وهنا يخصص بحثاً خاصاً مطولاً للبخاري ومسلم وكتب السنن الأربعة. ويختم الكتاب بوصف كتب المجموعات المتأخرة التى لم تبلغ أبداً في الشهرة مبلغ الكتب الستة.

وفي جولة جانبية يتناول جولدتسير علاقة الحديث بالعهد الجديد. وله بحوث أخرى في هذا الصدد منشورة في : "Oriens Christianus" . وترمي هذه البحوث إلى بيان أن هناك أقوالاً تعليمية في العهد الجديد قد أخذت (في المحيط الإسلامي) على أنها من تعاليم محمد. والأقوال المأثورة التي تعد من خصوصيات العهد الجديد تم إدخالها في أقوال محمد وأقوال صحابته، ومن هنا استقرت في اللغة الدينية للإسلام، وحتى الصلاة الربانية المسيحية "Das Vaterunser" أدخلت (في الإسلام) على أنها صلاة من تعليم محمد(٨٢) .

---

(٨٢) يعد جولدتسيهر أشهر من تولى حملة التشكيك في الحديث النبوي في أوساط المستشرقين، وقد بذل في ذلك جهوداً خارقة، وانتشرت العدوى منه إلى غيره من المستشرقين حتى يومنا هذا.

ولسنا ننكر أن هناك عشرات الآلاف - بل ربما مئات الآلاف - من الأقوال المنسوبة إلى الرسول ﷺ لا أصل لها، ولم تصدر منه عليه الصلاة والسلام، وهذا أمر لم يكن خافياً في يوم من الأيام على علماء المسلمين في مختلف العصور، ولكنه ليس دليلاً على التشكيك في الحديث النبوي كله. فالأمر الذى لاشك فيه هو أن علماء المسلمين الذين اهتموا بجمع الحديث النبوي لم يفرطوا إطلاقاً في ضرورة التدقيق الذي لا حد له في المرويات المنسوبة إلى الرسول ﷺ، فلهم في هذا المجال باع طويل في نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق أو كذب. وقد وصلوا في هذا الأمر إلى أبعد مدى، وتتبعوا الرواة، ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا منعهم عن تجريح الوراة والتشهير بهم ورع ولا حرج.

وبالإضافة إلى تأثيرات العهد الجديد (في الحديث النبوي) يمكن أيضاً إثبات تأثيرات أفلاطونية حديثة وغنوصية في «الحديث». وقد أتت هذه العناصر إلى الإسلام في الغالب عن طريق التصوف. ومن بين العناصر المختلفة لهذا النوع (من التأثير) يشير جولدتسيهر إلى «نظرية عقل العالم» بوصف هذا العقل قد فاض عن الله، وكذلك نظرية الوجود السابق لمحمد(على الخلق)، ويتصل بذلك نظرية الجوهر النوراني للنبي(٨٣).

وقد قيل يوماً ليحيى بن سعيد القطان : أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصمى أحب إليّ من أن يكون خصمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لم لم تذب الكذب عن حدثيى ؟

وقد وضع رجال الحديث القواعد الدقيقة التى ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب. ويعلم جولدتسيهر ذلك حق العلم. وما بذله المسلمون في هذا الصدد لم يبذل أحد من أتباع النصرانية واليهودية عشر معشاره في سبيل توثيق العهدين القديم والجديد. ويعلم جولدتسيهر أيضاً أن إماماً من أئمة الحديث مثل البخاري لم يأخذ في صحيحه بعد حذف المكرر إلا أقل من أربعة آلاف حديث انتقاها من الكم الهائل من الأحاديث التي جمعها والتي زادت على نصف مليون حديث. وقد جاء هذا الانتقاء نتيجة للمناهج العلمية الدقيقة التى وضعها هو وغيره من المحدثين العظام - وقد أجمع المسلمون منذ قرون طويلة على اعتماد كتب الحديث الستة المشهورة.

أما دعوى أن الحديث أو القسم الأكبر منه كان نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأولين، وما ذكره جولدتسيهر من حديث عن طفولة الإسلام ونضوجه. . . إلخ فإن الواقع والتاريخ يكذبان ذلك. فقد اكتمل الدين تماماً قبل أن يفارق النبي ﷺ هذه الحياة كما جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» (المائدة ٣). وهذه الآية تتضمن أيضاً إكمال السنة، لأن رسول الله مبلغ ومبين في الوقت نفسه لما جاء في القرآن الكريم، وذلك بشهادة القرآن نفسه. فالحديث إذن عن مرحلة نضوج الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ حديث لا أساس له، لأن النضوج كان قد تم بالفعل قبل وفاته عليه السلام. والتطور الذي يمكن تصوره في المحيط الإسلامي هو التطور في الفكر الإسلامي وليس في الإسلام. (راجع كتابنا : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - ص ١٠٢ وما بعدها - طبعة كتاب الأمة ومؤسسة الرسالة).

(٨٣) هذه المزاعم تعد استمراراً للجهود المضنية التى بذلها كثير من المستشرقين منذ قرون طويلة لمحاولة إثبات اعتماد الإسلام على المسيحية واليهودية وغيرهما من أديان بشرية ومذاهب فلسفية. والقضية بصفة عامة هي أنه إذا كان هناك وجه شبه بين بعض تعاليم الإسلام وتعاليم المسيح الأصلية فإن ذلك يرجع إلى أنهما قد أخذا من مصدر واحد، من رب الوحي سبحانه وتعالى. فليس هناك تأثير ولا تأثر بالمعنى الذي يفهمه جولدتسيهر وأمثاله.

أما الصلاة الربانية المسيحية (بالإنجليزية The Lord's Prayer) التي أشار جولدتسيهر إلى أنها قد أدخلت في الإسلام، فلست أدرى أي صلاة تلك من بين الصلوات المعروفة في الإسلام؟ فالصلوات الإسلامية - مفروضة أم نافلة - يعرفها العامة والخاصة من المسلمين منذ شرعها الإسلام، وشكل الصلاة في الإسلام مختلف تمام الاختلاف عن شكل الصلاة في المسيحية. فالادعاءات التي يدعيها جولدتسيهر هنا لا محل لها.

وفي حين كان المرء في أقدم عصور الإسلام يروي أحاديث باسم النبي بطريقة لا تحفظ فيها، فإن عواقب ذلك ظهرت من الناحية الأخرى في التخوف والحيطة في نقل قول مأثور على أنه حديث من أحاديث النبي، فإذا بدا أنه من المشكوك فيه التثبت من شيء مردي على نحو شفهي على أنه حديث للنبي فإن ذلك كان أكثر مدعاة للتخوف من تسجيل مثل هذه المرديات كتابة. وقد تناول جولدتسيهر هذه القضية أيضاً في العدد ٦١ من مجلة الجمعية الألمانية الشرقية "ZDMG" .

وبجهد لا يتوقف أتى جولدتسيهر بمادة جديدة لمراجع علم الحديث في الإسلام. وهكذا يقدم لنا صورة عن مسند الإمام أحمد بن حنبل على أساس عدد من المخطوطات المختلفة (مجلة الجمعية الألمانية الشرقية ٥٠).

نولدكه :

واستناداً إلى بحوث جولدتسهير حول نشأة الحديث يبحث نولدكه كيف أثرت الأحزاب السياسية على المرويات التي تتحدث عن أول الذين دخلوا في الإسلام وعن أجداد العباسيين والعلويين أيضاً، ويؤكد نولدكه أن المرء كان مولعاً باختلاق شهادات للخصم لتمجيد رجل من حزبه موصوف بالتقدير والاحترام بصفة خاصة.

هوروفتس :

أما هوروفتس(٨٤) Hororitz فإنه يبين في بداية بحثه أن الإسناد كان عادة متبعة في أقدم كتب الحديث التي وصلت إلينا، وكذلك في كتب السيرة كما هو الحال في أقدم ما وصل إلينا من ذلك وهو سيرة محمد لابن اسحاق. ولكن الإسناد كان مستخدماً

والأمر يختلف إذا كان المقصود أن هناك بعض العناصر المسيحية والإسرائيلية قد دخلت إلى بعض كتب التفسير الإسلامية، فهذا أمر لا نستبعده ولا ننكره. ولعل هذا ما دعا كلية أصول الدين بجامعة الأزهر إلى إدخال مادة دراسية جديدة ضمن مقررات قسم التفسير وعلوم القرآن وهي مادة «الدخيل في التفسير» بهدف التنبيه إلى العناصر الأجنبية الغريبة عن الفكر الإسلامي الصحيح والتي تسربت إلى كتب التفسير بحسن نية من مؤلفي هذه الكتب.

(٨٤) هناك من غير شك عناصر أجنبية تأثر بها لون من ألوان التصوف الإسلامي وهو التصوف الفلسفي. وهذه عناصر غريبة عن الإسلام، ولا يوجد في أصول الإسلام (القرآن الكريم والسنة الصحيحة) ما يؤيدها. ومن هنا فإنه إذا وردت أقوال منسوبة إلى رسول الله ﷺ في هذا الصدد فهي أقوال يعرف المحدثون المسلمون تماماً أنها ليست أحاديث صحيحة وبالتالي فلا وزن لها. وهذا أمر أعتقد أن جولدتسيهر كان يعرفه معرفة تامة.

أيضاً قبل ابن إسحق في دوائر العلماء من جامعي الحديث أو من الرواة. ويرى هوروفتش أن أول دخول للإسناد في مراجع الحديث لم يكن متأخراً عن الثلث الأخير من القرن الأول للهجرة.

وفي القسم الثاني من بحثه يؤكد هوروفتس أن الإسناد لم يكن من اختراع العلماء العرب، فلدينا نموذج في هذا الصدد من الممارسة العملية للمدارس اليهودية في العصر التلمودي. وطبقاً لهذا النموذج أدخل نظام الإسناد في المرويات الإسلامية(٨٥).

يونبول:

وهناك مقالة ممتازة عن الحديث كتبها يونبول في دائرة المعارف الإسلامية. وقد تناول فيها النقاط التالية: ١ - مضمون الحديث وخصائصه، ٢ - نقد المسلمين للحديث، ٣ - التمييز بين مرويات الحديث، ٤ - مجموعات الأحاديث، ٥ - انتشار الحديث. وقائمة المراجع.

---

(٨٥) جوزيف هوروفتس (١٨٧٤ - ١٩٣١) مستشرق ألماني، كان أستاذاً للعربية في جامعة عليكره بالهند ثم أستاذاً بجامعة فرانكفورت، له العديد من البحوث في مجال الدراسات الإسلامية والعربية، وله جهود في مجال التحقيق لبعض كتب التراث. (المستشرقون للعقيقي جـ٢ ط٤ ص ٤٣٢ ومابعدها).

(٨٦) إن وجود وجه شبه بين فكرة من الأفكار لدى شعب من الشعوب وفكرة أخرى لدى شعب آخر لا يلزم منه بالضرورة أن يكون أي منهما قد نقل عن الآخر إلا إذا كان هناك دليل قاطع على ذلك. وليس لدى هوروفتس دليل حقيقي على إثبات نقل المسلمين لفكرة الإسناد عن اليهود. والعقل ليس وقفاً على أمة دون أمة، فقد أعطى الله العقل لكل الناس. ولم يكن المسلمون في حاجة إلى تعلم فكرة الإسناد من اليهود أو من غيرهم. فقد اقتضت الضرورة العملية والدينية لدى المسلمين توثيق ما يروى عن النبي ﷺ لما يترتب على هذه المرويات من أمور دينية لها أهميتها البالغة في حياة المسلمين الدينية والدنيوية، نظراً لأن السنة وهي المصدر الثاني للإسلام تعد من قبيل الوحي الإلهي لأن محمداً ﷺ لم يكن يشرع للمسلمين من عند نفسه.

ومن هنا كانت ضرورة التحري عمن روى عن النبي ﷺ حتى لا تنقل عنه أخبار أو أحاديث مجهولة الراوى، أو تروى على لسان كاذب، وقد جاء القرآن محذراً من قبول الأخبار التي تأتي على ألسنة من لا يوثق بهم: ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنأ فتبينوا﴾ (الحجرات ٦). وبذلك وضع القرآن الكريم أمام المسلمين أهم قاعدة من قواعد النقد التاريخي. وتتمثل هذه القاعدة في أن أخلاق الراوى تعد عاملاً هاماً في الحكم على روايته. وقد أفاد المسلمون إفادة عظيمة من هذه القاعدة وطبقوها على رواة الأحاديث النبوية الذين يشكلون سلسلة الإسناد.